يقظة
مجلة شهرية تصدر عن رؤية للتغيير
12 العدد
مايو 2012

أيقونة العدد
نذير نبعة

ملف العدد

منظمات العمل المدني الجديدة
بديل مرحلة مؤقت
أم مشروع عمل

محتويات 12 إيقاعات

قبل أن نبدأ	– طريق العنف .. تذكرة باتجاه واحد	رؤية للتغيير	03
ايقاع الصحافة	– فيما يخص المسألة الطائفية	ماجد كيالي	04
	– نجوم لا تلمع الا في التلفزيون	الياس خوري	06
ايقاع الترجمة	– ريجيس دوبريه	د . فارس ايغو	08
	– الأب باولو في لقاء نابولي	ترجمة : عامر	11
وجهة نظر	– الثورة السورية والسياسة الدولية	هادي البحرة	13
	– سوريا المعادلة الصعبة	عبد الرحمن حلاق	16
	– عن " يسار " ممانع خذل سوريا	ياسين سويحة	19
	– النقد والسلطة والربيع العربي	عزت عمر	21
	– فرع فلسطين	زياد ماجد	22
	– حلب ليست كما يصفها الأصدقاء	فداء عيتاني	23
ملف العدد	**– فهرس الملف**		25
	((وائل سواح – د. نائل حريري – خطيب بدلة – عزيز تبسي		
	سعد العثمان – موفق زريق – خوشناف حمو – نبيل علي صالح))		
ايقاع حر	– كلام بالصميم	محمود الحسيني	47
	– سورية .. اشتياقي لك يتخمر في الهواء	عناية جابر	48
	– أنتِ .. بين السيفِ والحرفِ	محمد زكريا السقال	50
	– عن الحب وهل هناك أكثر	رباب البوطي	52
	– الخجل من الكتابة	منهل السراج	53
	– قط .. شيخ شباب	ياسر السيد	54
	– طفلي الذي أجلتُ موته	رنا سفكوني	56
فاصل	– ممنوع مرور الحرية	ملصق	57
ايقاع الأدب	– رسالة عاجلة من بابا عمرو لابنه أسامة	ماء الفضة	58
	– حديث القاتل والمقتول	محمد النجار	60
	– قصائد	محمد دالاتي	61
	– الثورة	عبد الرحمن مقلد	62
	– ثيران مجنحة	صلاح فائق	63
	– دم راشد بما يكفي	بشير عاني	65
	– التريمسة	مروان خورشيد	66
ابداعات الثورة	– السوق – الناس – أبواب الحرية	محمد حيان السمان	67
أيقونة العدد	– نذير نبعة		71
قبل الوداع	–	حازم العظمة	72

اعتذار مسجل للصديق خالد حاج بكري حيث ورد الاسم خطأ في فهرس العدد الماضي كخالد حاج علي

طريق العنف .. تذكرة باتجاه واحد

في الفيزياء أرهقونا بالحديث عن الفعل ورد الفعل , كيف أن الأول يولد الثاني , وعن محصلات القوى التي تحدد مسار الحركة . وجدل بين نيوتن ودالامبير لوجهتي نظر من يكن داخل كتلة الحركة . ومن يراقبها خارجا .
لم يكن السوريون يوماً بمستوى العنف الحالي ولا حتى مع حرب تشرين ونزاع عسكري متعدد المستويات . ولا مع صراع الثمانينيات وما تلاه من صراع على السلطة .
العنف اليوم في سوريا بدأ صناعة محلية , تشاء الظروف أن يدرك العالم كله مصلحته بالإدلاء بدلوه فيه , لأن محصلته ينبغي أن تخدم محصلات قوى الضغط على اختلاف أهدافها وحاجات الانتقام والتوريط الدولي المتنامية .
السوريون بدافع من فجيعة المراوحة المعجونة بالقمع والافقار بجانبيه الاقتصادي والروحي . قدموا نموذج المُطالب السلمي بحقوقه دون لبس , وعلى مدى شهور عدة , لكن حامل المطرقة أصر أن ينظر إلى هذه الجموع كمسامير , وفي كل خبطة عنف كان يدفعهم دفعا من دائرة التحمل إلى دائرة ارتداء الخوذة وإلى الرغبة بحمل المطرقة نهاية المطاف .
كان هدفا استباقيا للنظام , وكان سلوكا متأخرا لجموع المنتفضين . وحامل المطرقة الرئيس لم يكن رحيما مطلقا مع من صرخ وعبر وشارك وأطلق النداء أن أوقفوا هذه الحماقة المروعة وأوقفوا القتل بل بالعكس كان عليه اقتلاع هذه القيادات والتجمعات المدنية لتكون خارج المشهد العام الذي أعد مسرحه العنفي بكل صبر .
ثم ماذا بعد ؟
طريق العنف تذكرة باتجاه وحيد .. في مجتمع الاقصاء واحدة من أهم تداولاته خلال نصف قرن , لن يكون لطريق العنف ردا عبر غاندي ولا مارتن لوثر كنغ . ولكن قد تكون سوريا سابقة جديدة كعادتها في انجازات كثيرة , في أنها قد تطفئ بئر المصالح المستعر بإحراق الأكسجين حول فوهة الحريق وتجنيب المنطقة كارثة عميقة .
بقي نيوتن ودالامبير . أليس من الممكن صناعة قوانين واحدة بينهما , أليس ممكنا استتباع مؤتمر القاهرة بغرفة انقاد واحدة موحدة الأهداف , تقدم مخارجا بدل التشكي على اعتبار أن المركب واحد والخاسر واحد والمستقبل ينوس فوقنا كسيف ديموستين . ؟؟

إيقاع الصحافة
في ما يخصّ المسألة الطائفية

ماجد كيالي

ما زالت «المسألة الطائفية» من أهم المعضلات التي تعوق مسار الاندماجات المجتمعية في بلدان المشرق العربي. واللافت أن هذه المسألة تزداد تعقيداً، فبعد أن كانت تتمحور حول التفارق والتنازع بين أتباع ديانتي الإسلام والمسيحية إذ بها تشتعل، في هذه المرحلة، في شكل أكثر حدّة، وتعصّباً، ونفياً للآخر، بين السنّة والشيعة.

يستنتج من ذلك أن مصدر «المسألة الطائفية»، والعصبيات والمنازعات والتفارقات الناشئة عنها، لا علاقة له بالاختلافات الدينية، بدليل إيمان السنّة والشيعة بالمعتقدات والطقوس الإسلامية ذاتها، وبدليل أن الخلاف، وبالتالي التفارق، والتنازع، بين السنّة والشيعة كان حصل بعد اختتام عهد النبوّة، وبعد التنزيل، أي بسبب حوادث تاريخية، ومنازعات سياسية.

معلوم أن ظاهرة التشقّق الطائفي/المذهبي نشأت في خضم التنازع على السلطة، والمكانة، في بدايات تشكّل دولة الإسلام الأولى، أي مع انتقاله من حيّز الرسالة الدينية، إلى حيّز الحياة «المدنية»، ومن كونه دعوة سماوية إلى كونه ممارسة سياسية، أيضاً.

وبديهي، فإن استنتاجاً كهذا لا ينزع عن تلك الخلافات والافتراقات طابعها الأيديولوجي، وإنما يميّز هذا الطابع، بكونه ليس مستمداً من الدين ذاته، بقدر ما هو مستمد من شؤون الدنيا. وما محاولات رجال الدين، عند الفريقين، إضفاء بعد ديني/أيديولوجي على هذه الخلافات إلا تأكيد على ذلك، حيث يضطلع الفقهاء والمؤرّخون («المثقفون») بدورهم في صوغ الرواية والتبريرات الأيديولوجية والأخلاقية لما يريده الزعماء السياسيون.

وفي الواقع، فإن هؤلاء الزعماء، ومن موقعهم السلطوي، هم وحدهم من يجعل هذه الرواية، وتلك التبريرات، بمثابة قيمة عليا، وسردية عامة، تثير الهام عند مجموعة بشرية ما، وتبني عصبيتهم، وتسهل صوغ هوية متخيّلة عندهم؛ عن ذاتهم وعن غيرهم.

والحال، فإن محاولات اعتبار المسألة الطائفية معطى خارجياً، أي بمثابة امتداد للمخطّطات الاستعمارية والامبريالية، وسياسة «فرّق تسد»، غير صحيحة، ولا تفسّر المسألة ذاتها، بقدر ما أنها محاولة للتبرؤ منها، والتنزّه عنها، ونفيها، بدل مواجهتها وصوغ الحلول الملائمة لها. فضلاً عن ذلك، فإن ادّعاء كهذا يغفل عن حقيقتين أساسيتين، أولاهما، أن المسألة الطائفية كانت موجودة قبل ظهور الاستعمار، وقبل اكتشاف القارة الأميركية، بقرون عدة، وحتى وقبل التعرّف على الحداثة السياسية وظهور ما بات يعرف بالدولة الدستورية ودولة المواطنين. وثانيتهما، أن الأنظمة القائمة منذ عقود لم تفعل شيئاً لحلّ هذه المسألة بتجاوزها، من خلال حض الاندماجات المجتمعية، وخلق الاجماعات الوطنية.

وبدوره، فإن التفسير الاقتصادي، وكذا التفسير بتخلف البنى الاجتماعية، يقصران عن فهم استمرار «المسألة الطائفية»، لأن الحرمان والتهميش، والنقص في التطور، والخلل في توزيع الموارد يمسّ عملياً كل الطوائف.

هذا يعني أن المسألة الطائفية لا تستمدّ وجودها من الاختلافات الدينية، أو من محاولة كل طرف احتكار الحقيقة الدينية، كما ولا من التفاوتات الاقتصادية، أو من تخلّف البني الاجتماعية، وبالتأكيد ولا من العوامل الخارجية، بقدر ما تستمدها، بالضبط، من الصراعات السياسية على السلطة والهيمنة. فالسياسة وحدها هي التي تستطيع تحويل مجموعة بشرية من كونها ظاهرة طائفية/دينية (وحتى إثنية) عادية، إلى كونها مسألة طائفية، أي بمثابة إشكالية، تنجم عنها توترات وعصبيات، وبالتالي منازعات وتصدّعات.

ولعلّ هذا ما يمكن تبيّنه في التجربة التاريخية، في حادثة «السقيفة»، وما شهدته من اجتهادات متباينة، بين الصحابة الأوائل، إلى المنازعات على الأحقيّة بالخلافة في عصر «الخلفاء الراشدين»، وصولاً إلى حوادث الدولة الأموية (الوراثية)، وما بعدها.

أما في التجربة المعاصرة، فيمكن تبيّن ذلك في دأب الأنظمة التسلّطية على تكريس العصبيات قبل الوطنية، واستخدامها سياسة «فرّق تسد»، للتلاعب بالانقسامات الطائفية والمذهبية والاثنية في مجتمعاتها، وتوظيفها، في شرعنة سلطتها. وكانت وقائع الثورة المصرية، مثلاً، أكدت ضلوع الأجهزة الأمنية لنظام مبارك بإثارة الفتن الطائفية، بين المسلمين والأقباط، الأمر الذي وصل إلى حد تفجير كنائس، واتهام جماعات إسلامية بها، للترويج للنظام بوصفه الحامي والضامن لوجود الأقباط.

وإذا قاربنا «المسألة الطائفية»، كما تتجلّى في التنازع السنّي– الشيعي في بعض بلدان المشرق العربي، فسنجد أنها نشأت حديثاً من

إيقاع الصحافة

حوادث سياسية، لا من خلافات دينية، من محاولات إيران مدّ نفوذها في عديد من البلدان، لتعزيز مكانتها الإقليمية، ومن تداعيات الاحتلال الأميركي للعراق، الذي سهّل قيام نظام سياسي طائفي فيه، ومن اندلاع الثورة السورية، ومساندة إيران وقادة العراق و «حزب الله» (في لبنان) للنظام السوري.

على ذلك يتضح أن حلّ المسألة الطائفية، وهي مسألة سياسية أصلاً، لا يتمثّل بإلغاء الطوائف، أو تجاهل وجودها، وإنما يتمثّل بالاعتراف بوجودها، وبروياتها، ومعتقداتها، مثلما كان على مدى قرون، ومثلما هو حاصل في دول العالم المتمدن.

وفي الواقع، ما عاد في الإمكان، في هذا العصر، تنميط الناس وفق دياناتهم، فالديانة الواحدة باتت متعدّدة، أيضاً، فثمة عند السنّة، كما الشيعة، مذاهب كثيرة، ما ينطبق على المسيحية، فضلاً عن أن ثمة في كل مذهب متطرفين ومعتدلين ومتسامحين. كذلك، فإن أفراد أي جماعة دينية هم كذلك من ناحية وراثية، أما عملياً فثمة بينهم متدينون ولا متدينين، مثلما هناك يساريون وعلمانيون وليبراليون وقوميون، أي أن الصفة الدينية باتت تقصر عن صبغ فرد ما باعتبار ديانته أو مذهبه. وعدا ما تقدم يمكن أن يكون العلماني أو اليساري أو الليبرالي أو القومي اقرب إلى مثيله الفكري والسياسي، من أتباع دين آخر، أكثر بكثير من قربه إلى مثيله الديني المختلف معه سياسياً، بدليل أن كثير من الأحزاب والحركات السياسية التي سادت خلال العقود الماضية كانت عابرة للأديان والمذاهب.

قصارى القول، فإن حلّ «المسألة الطائفية» يكمن بإخراج الطوائف من حيّز تلاعبات السياسة وتوظيفات السلطة، وبقيام المواطن الفرد، وبتأسيس دولة المواطنين الديموقراطية الدستورية.

إيقاع الصحافة

نجوم لا تلتمع إلا في التلفزيون!

الياس خوري

ترافقت انطلاقة الثورة السورية مع انتشار واسع لظاهرة المعلقين/المثقفين السوريين في الخارج على الفضائيات العربية. شكلت الظاهرة في البداية تعبيرا عن الرغبة في كسر سور الصمت الذي احيط به المجتمع السوري. وبدت المسألة كظاهرة ايجابية.

ومع تنامي الثورة، وبداية تشكيل أطر سياسية كالمجلس الوطني، وهيئة التنسيق والهيئة العامة والى آخره... تحوّل فيمن يفترض فيهم ان يكونوا قادة سياسيين الى معلقين في الفضائيات العربية. وبصرف النظر عن الاسباب التي دفعت الفضائيتين العربيتين الكبريين: الجزيرة (قطر) والعربية (السعودية) الى تبني الثورة السورية، هل السبب مهني ام سياسي يتعلق بمصالح الدولتين، ام مزيج منهما؟ فان ما يهمني الآن هو قراءة كيف تحولت ظاهرة المعلقين/ المثقفين السوريين في الخارج الى ظاهرة سلبية، والى شكل من اشكال اضاعة البوصلة السياسية. وهذا يعود في رأيي الى تضييع المسافة بين الموقف الذي يُفترض بالقائد السياسي التعبير عنه، والتحليل الذي يقوم به الصحافي في العادة، والرأي الذي يطرحه المثقف.

هذا الاختلاط العجيب في المهمات يعكس تركيبة المعارضة السورية في الخارج، وغيابها الطويل عن مسرح العمل السياسي من جهة، كما يعكس نهم الفضائيات الى تعبئة الهواء بالمثير من جهة ثانية، بحيث تحولت متابعة الجمهور للمواقف المتضاربة الى عبء على العقول والنفوس. فبدلا من ان تعكس المواقف المعلنة إرادة التغيير تحولت الى عبء على التغيير ومناسبة لفضح تركيبة هشة وكشف رغبات انتهازية تسعى الى تسلق شلال الدم السوري.

قليلا من التواضع ايها السيدات والسادة، وليعمل كل واحد بكثير من الصمت وقليـــل من الكلام من اجل دعم الصامدين في الداخل. هذه هي مهمة المثقفين في الخارج لا غير.

اما الذين يتصدون للقيادة فعليهم الاقتصاد في الكلام، فالقائد ليس صحافيا في الفضائيات، وحين يظهر على الشاشة فان ظهوره يجب ان يحمل توجيها سياسيا محددا، وموقفا واضحا نتيجة تطورات سياسية معينة. ما عدا ذلك فبهلوانية تؤكد الشخصية الفهلوية التي سبق لصادق العظم ان حللها منذ اكثر من اربعين عاما.

ان وضوح المهمات مهما كانت الخلافات، واللقاء على مشاريع ملموسة، كفيل باذابة جزء كبير من خلافات سياسية تتحكم بالكثير من القوى السياسية تعود في معظمها الى مرحلة ما قبل الثورة.

لا يمكن ان يقبض الجمهور هذا الاختلاط العجيب، كل يصرح على ليلاه، ويعلن المواقف على الهواء مباشرة، من دون الرجوع الى اطار مرجعي، بحيث تختلط الادوار وتتفاقم الالتباسات، ولا يعود المواطن قادرا على التمييز بين مواقف القوى السياسية وبين انطباعات مجموعات من المنتمين اليها.

قد يكون الدور الذي لعبه عزمي بشارة في بدايات الثورات العربية، حين تحول من زعيم سياسي ومفكر الى معلق تلفزيوني يومي على قناة الجزيرة، قد طبع مرحلة الالتباسات هذه. وعلى الرغم من ان بشارة استدرك خطأه واحتجب نسبيا، فان الجوع الى الاعلام بهدل الكثير من السياسيين والمثقفين واساء الى الثورة بدلا من ان يكون في خدمتها.

نعود الى الاولويات، وظيفة الصحافي ان ينقل الخبر ويحلله، ووظيفة السياسي ان يعلن الموقف حين ينضج الموقف ويصير اعلانه ضروريا، ودور المثقف ان يدافع عن القيم ويفكك خطاب السلطة، ويلتحم بالثورة من دون ان يفقد حسه النقدي تجاه ضرورة نقد أخطاء الثورة من اجل تصويبها. اما دور المناضلين على الأرض بهيئاتهم التنسيقية فهو المرجع الأول والأخير لهؤلاء الثلاثة.

هكذا تستقيم الأمور، وهذا ما نفتقده اليوم مع ظاهرة نجوم 'التوك شو' وما يشبهها، الذين لا ينجمون الا للحظات ثم ينطفئون.

يجب ان يتوقف سيل التصريحات التي بمعنى وبلا معنى، فالفضائيات ليست 'الفيس بوك' حيث يختلط الحابل بالنابل في الكثير من الأحيان.

لا ادري كيف يملك هؤلاء الجرأة على هذا الكم المخيف من الكلام، كيف لا يتواضعون امام ملحمة كبرى يصنعها شعب يقف وحده دفاعا عن الحياة والقيم الاخلاقية في مواجهة آلة الموت العمياء، كيف لا يشعرون بالصغر امام كبرياء الموت الذي يملأ مدن سورية

إيقاع الصحافة

ودساكرها، وكيف لا يحترمون الكلمة التي هي سلاحنا الأخير في مواجهة العهر الدموي للنظام الاستبدادي.
منذ انطلاق الثورات العربية وصولا الى الملحمة السورية التي هي اعظم وانبل ما يصنعه العرب اليوم، كانت مهمة المثقفين والنخب هي اعادة المعنى الى الكلمات. تخليص اللغة من الابتذال واستعادة القيم الاخلاقية التي من دونها لا وجود لأي نصاب اجتماعي، كانت وستبقى هي المهمة الكبرى.
بدل التلهي في نقاشات سياسية تافهة وعقيمة، من واجب المثقفين بناء عقد اخلاقي جديد يقوم عليه البنيان الاجتماعي الذي حطمه الفساد والاستبداد.
حجارة هذا البنيان يجب ان تكون جديدة ومتماسكة اخلاقيا كي تكون الثورة بداية زمن جديد، هو زمن المواطنين لا الرعايا، وزمن الافراد الاحرار لا القطعان التي تساق الى الذبح، وزمن العدالة بكل ابعادها الاجتماعية والسياسية.
لا يريد هذا الكلام ان يغفل اعمال الكثير من المثقفين والمناضلين السوريات والسوريين، الذين حافظوا على شرف الكلمة وشرف الدم، ولم يسقطوا في فخ التنجّم البائس، لكنه مجرد تنبيه الى اننا انفلقنا من نجوم لا تلتمع الا في التلفزيون!

الديني هو المنقذ الأخير ، حينما تفشل السياسة

ريجيس دوبريه

ترجمة : د. فارس إيغو

لقد زار المفكر الفرنسي الشرق الأوسط عام 2008 ؛ وقد صدر بمناسبة هذه الرحلة الفكرية والمقابلات التي أجراها كتاب "بريء في الأرض المقدسة" (غاليمار- 2008) (2). إن دوبريه يأسف لغياب الروحانية (spiritualite) لمصلحة التدين (religiosite) في الأراضي المقدسة, هذه التطورات الأخيرة,هي أعراض تجذر الصراع العربي الإسرائيلي ، الذي ارتدى طابعاً دينياً ، على شكل حرب الأديان ، بعد أن كان ، في الماضي ، صراعاً بين علمانيي حزب العمل الإسرائيلي ومنظمة التحرير الفلسطينية .

الأرض المقدسة la terre sainte

يبدو أن العلاقة مع الأرض المقدسة (القدس) مختلفة ، بالنسبة لليهود والمسيحيين في اليهودية ، الأرض الموعودة للآباء المؤسسين أو الأنبياء (patriarches),هي أرض يجب العمل بها بنشاط ؛ على الشعب الحيوي أن ينمو فيها ويتكاثر, إنها (الأرض) نوع من المصالحة النشطة (me-diation active), بينما ، هي في المسيحية ذات طابع تأملي- تعبدي (contemplative) , اليهودية تشبك بالتاريخ الديني لها جغرافية مقدسة حددها الله ؛ في حين ، أن المسيحية ديانة كونية ليس لها طابع التجذر في أرض معينة, إنها على العكس ، إحتجاج ضد المكان ، حيث تعارضه بنفخة الروح , المكان – بالنسبة للمسيحية – ليس إلا دعم للذاكرة ؛ آلة لشحن الروحانية, على كل حال ، إن المصطلح "أرض مقدسة" غير موجود أصلاً في الأناجيل, لقد ظهر المصطلح ، في تاريخ المسيحية في القرن الرابع للميلاد عندما بدأت المزارات والحج, في حينها ، كان اختلاق المصطلح – كمفهوم مطاطي حيث أن كثيراً من الأماكن المقدسة تتبدل متكيفة مع أماكن الحج ؛ إن الحاج هو الذي يصنع المكان المقدس ، وليس العكس, في الحقيقة ، المسيحيين كانوا مجبرين – في اصطدامهم مع الضرورات التقديسية – أن يكون لهم مكان جغرافي ثابت نقطة ثابتة ، يحيطها حرم قدسي .

حرب الأديان une guerre de religion

لم يكن العنصر الديني في مركز الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، حيث أنه لم يبرز قبل عام 1967 ، وإحتلال القدس, في البداية ، كانت الصهيونية حركة تمرد ضد الله ، وضد الحاخامات ؛ إنها حركة ذات طابع إرادوي ، واشتراكي, لقد كان معظم رجال الدين اليهود الأرثوذكسيين معارضين خلق دولة لليهود الشتات ، حيث أن ذلك يعود إلى مشيئة الله ، وليس البشر .

في زمن بن غوريون ، أي في نهاية الأربعينيات ، كان الصراع بين دولة إسرائيل وحركة وطنية قيد التشكل, لكن ، منذ اللحظة التي فشلت فيها السياسة في حل المسألة بالطرق السياسية ، فإن الصراع بدأ يكتسي طابعاً دينياً, إن الديني هو تعويض ، إنه الخلاص الأخير ، عندما تفشل السياسات العقلانية ، أو حسابات المصالح .

هذا الطابع الديني للصراع ليس عبارة عن مظهر خادع ، إنه يقولب عالم السياسة بطابعه : تجذير للصراع ، وجعل المفاوضات السلمية مستحيلة, إن المقدس ، لا يمكن تشاركه (حيث أن لكل جماعة مقدساتها) ؛ عندها يصبح الأمر ، غير خاضعاً لأي عملية تبادل أو مساومة,عندما يشرعن كل طرف نفسه بالاستناد إلى الدين ، فإن الحرب لا تأخذ مفعولها كأداة للصراع ، إنها تنقلب إلى عالم آخر, حيث أن الدين ظاهرة عابرة للوطنيات, لقد تحولت حرب التحرير الوطنية ، منذ عقود ، إلى حرب دينية, إن الانتفاضة (intifada) الأولى ، كانت ذات طابع علماني وسياسي ، بينما ولدت الانتفاضة الثانية ، انتفاضة الأقصى ، في القلب المقدس لمدينة القدس ، أي فوق القبة المقدسة ، حيث يتشارك المؤمنين المسلمين واليهود في التعبد ؛ المسلمون في المسجد الأقصى ، واليهود أمام حائط المبكى (la mur de lamentation), في نفس الوقت ، فإن وسائل الصراع بدأت بالتغير ؛ في الانتفاضة الأولى ، كان لدينا الأطفال الفلسطينيين يرمون الحجارة ، وأحياناً نصوب البندقية نحو المحتل وجنوده, بينما حل الإنتحاريون والقنابل البشرية مكان الحجارة في الانتفاضة الثانية .

عودة الديني le retour du religieux

إن عودة الديني – إذا استطعت أن ألاحظه وأقوّمه – فإنه يعمل في الجانب العربي ، بشكل مختلف ، عن الجانب الإسرائيلي, من الجانب الإسرائيلي – حتى لو كان لدينا يهود لا أدريين – فإن السمة الخصوصية المميزة للهوية تكمن في التاريخ الديني : هذه الوحدة مع الله هي التي تصنع وجود الشعب اليهودي ، مع مفهوم الشعب المختار والأرض الموعودة, إن اكتشاف القدس عام 1967 وضرورة توحيد الدياسبورا اليهودية

لالموجودة على أرض إسرائيل ، هما اللذان دفعا إلى صعود هذا اللاوعي الديني الجماعي في إسرائيل, وبالتدريج ، فإن إسرائيل– الدولة أعطت مكانها لإسرائيل– الأرض, من هذه اللحظة ، فإن المستوطنين الذين يريدون استملاك الأراضي ، أصبحوا في الصفوف الأولى في إثبات الهوية , حتى ولو كان هؤلاء أقلية ، إلا أنها أقلية تشكل العائق الأساسي لأي حلول سلمية ، لأنها أصبحت مرتبطة حميمياً بالهوية الجماعية... بالنسبة ليهودي علماني ، أصبح الأمر صعباً ، خاصة في الرد على الأسئلة المحرجة التي تطرح عليه ؛ إنه أصبح خاضعاً للابتزاز, وعندما نطلب منه وبإلحاح : "ما الذي يجعل منك يهودي ؟ تقدمي ، أو لاأدري ، ولماذا أتيت إلى هنا ، أليس لأن هناك كتاب ، مقدسات ؟" , إن الشعب اليهودي لم يؤسس دولته في أوغندا ، أو في كندا ، إنه أسسها في إسرائيل , إن الحاخامات هم موظفون في الدولة ، وعناصر الجيش الإسرائيلي من المظليين يحملون التوراة في حقائبهم العسكرية, لكن ، هل في استطاعتنا القول إن إسرائيل هي دولة ثيوقراطية (theocratie) ؛ ليست الشريعة هي التي تحكم في إسرائيل ولكن إسرائيل دولة دينية بالرغم من ذلك, من ناحية أخرى ، لدينا حركة وطنية كانت في الماضي علمانية : منظمة التحرير الفلسطينية (OLP=organization de liberation de la Palestine) , لكن ، في اللحظة التي فشلت فيها تأسيس الدولة الفلسطسنية ، بعد انهيار اتفاقات أوسلو ، ظهرت العناصر الإسلامية المتشددة في مقاومة إسرائيل ، والملحة بقوة على الهوية الإسلامية, وكلما حاولت منظمة التحرير التفاوض والتعاون مع إسرائيل ، زادت قوة هذه الجماعات الإسلامية, لقد ولدت "حماس" من الفشل : فشل منظمة التحرير على كافة المستويات ، في إدارة التفاوض ، وفي إدارة المال العام, ومن الجانبين ، اتجه الكفاح الوطني ، ناحية الديني .

العرب المسيحيين les arabes chretiens

تكمن مأساة العربي المسيحي ، في أنه لا يوجد عربي كالمسيحي في نظر التاريخ بينما اليوم ، فإن العربي المسيحي لا يبدو عربياً بالمرة ، في نظر الآخرين, إن العرب المسيحيين كانوا في هذه الأرض قبل مجيء الإسلام, إنهم سكان البلد الأصليين (autochtones) , لقد رأوا مجيء المسلمين في القرن السابع الميلادي ، كأنهم (المسلمين) مذهب مسيحي مهرطق ؛ وحالياً ، يُنظر إليهم على أنهم غرباء,إنهم يتواجدون في ظرف من أصعب الظروف ؛ فهم في نظر المتشددين ممثلين للغرب ؛ بينما الغرب المسيحي هو الذي نتج عن هؤلاء المسيحيين في أوائل القرون الميلادية ؛ نحن الغربيين خلفاء (descendant)

هؤلاء المسيحيين

إن العرب المسيحيين ، محاصرين بين إيديولوجيتين في حالة صعود : الصهيونية والإسلاموية, إنهم يحافظون على ذاكرة القدس في زمن العثماني ، ثم الأردني؛ هذه الذاكرة لا أحد يحتفظ بها غيرهم , إنهم شهود على التاريخ .

حالياً ، يحدث رفض لهؤلاء المسيحيين ، بالرغم من أنهم يحملون أعلى الشهادات المسيحيين الفلسطينيين يتركون فلسطين ، حيث لا عمل يجدونه ، بالإضافة إلى النظرة السيئة لهم من الجميع .

قداسة الجدران Le sacre des murs

لقد عُدت من زيارتي للأراضي المقدسة بإحساس ، وجود شرخ عميق بين الروحاني والديني ، أكثر مما كنت أتصور قبل مجيئي , إن الروحاني ظاهرة فردية باطنية, الديني هو الجماعة ، إنه تنظيم للفضاء وللزمان ؛ يوجد شيء أكثر في الديني من التنظيم : السياسي (Le politique), إن الديني ، هو الجماعة ، إنه تنظيم للفضاء وللزمان ؛ يوجد شيء في الديني ، أكثر من التنظيم السياسي, إن الديني ، قضية تنظيم ، أراضي ، حركات وتراتبيات, لقد كنت متفاجئاً ومندهشاً إلى أي درجة وصلت فيها هيمنة التنظيم للهوية الجماعية الدينية على البحث التيولوجي والتأملي, إننا نتصور الشرق كحاضنة للروحانية النشطة ، فنجده عبارة عن كاتدرائيات متجاورة,هذا ما يؤكد الفكرة بأن المقدس هو ما يغلق وليس العكس, إن مجموعة ما لا يمكن لها أن تنغلق عن طريق عناصرها فقط ، يلزمها نقطة تعالي – بدون أن نعطي لهذه الكلمة معنىً روحانيا إذن ، في كل مكان يتواجد فيه المقدس ، تتواجد حدود وجدران ؛ كلما كانت الأرض أكثر قداسة ، كلما كانت أكثر محصنة. على عكس كل ما قيل في الإيديولوجيات الليبرالية والماركسية الدوغمائية ، أن الجدار يستدعي إلى الفالق ، وأن الفالق يستدعي إلى الجدار, حتى لو فعلنا كل شيء كي لا نراه ، لكن الأرض المقدسة تخبرنا على رؤيته ؛ نصل إلى الأرض المقدسة بمبدأ المتعة والدهشة في الهروب إلى ما وراء الواقعية ، ونكتشف فجأة أن مبدأ الواقعية الدينية هو السائد ، حيث تُنصّب الجدران, وكما نعيش في الغرب على مثال "دون حدود" ، فإننا نتقزز من هذا الواقع

لالمرير, إن التفكير في الحدود يصبح اليوم المهمة الفلسفية رقم واحد .

مرآة الإنسانية un miroir de l humanite

القدس مركز متقدم للغرب في الشرق ، و في نفس الوقت ، قطعة من الشرق مغروزة في جسم الغرب ، هذه المدينة (أو هذه الأرض المقدسة) هي مرآة الإنسانية, لكن ، هناك فارق كبير بين صغر هذه المرآة ، وبين التأثيرات الواسعة لها في العالم .

إن الأرض المقدسة تزعجنا ، لأن كل أصولنا تقفز في وجهنا, في هذا الصراع الإنسان موضوع في مواجهة الشروط البدائية المتوحشة للوجود الجماعي, يوجد الهوية والحدود ، والمتعالي ، والخوف, في الغرب ، وابتداء من القرن الثامن عشر قرن التنوير ، اعتبرنا أن "الديني" ليس من التعبيرات البنيوية للجماعة الإنسانية لكن ، شيء يحدث في ذهن (أورأس) الأفراد, بمعنى آخر ، أن الدين ليس من التركيبة الأساسية ، أو البنية التحتية ، وإنما من البنية الفوقية ، حسب تعبيرات الفلسفة الماركسية, اليوم ، نكتشف فجأة ، أن الديني ليس من سياق البنية الفوقية وإنما يدخل في صلب البنية التحتية ؛ وخاصة في هذه المنطقة ، منطقة الشرق الأوسط ، حيث العامل "الاقتصادي" لا يحدد أبداً, برأيي ، فإن الحلم الصهيوني، هو عبارة عن يوتوبيا ، حيث أنه أراد الهرب من واقعة الديني, إن عملية إنكار الديني كانت مدهشة في القرن التاسع عشر والعشرين ؛ لكن ، عندما تكون في مواجهة مع وجودك الإنساني ، عندما تكون في ملامسة هذه الأرض المقدسة ، وعندما تقرأ في الكتاب المقدس ، فإن المسيحانية تأخذك من الداخل, عندها ، لا تستطيع أن تعالج العامل الديني ، على أنه فلكلور خارجي ، يتعلق بطفولة الإنسانية (كما يقول أوغست كونت في قانون المراحل الثلاثة = المترجم), إن جحود الحداثة بالعامل الديني ، لم ينتج إلا زيادة في المأزق الإنساني , إن الجذور في طريقها إلى العودة من جديد ,لذلك ، فإن الأرض المقدسة تصبح مزعجة للتقدمي العنيد (أي الذي لايتغير), انظر ، حركة "حماس" ، إنها تحتكر العلم الوطني لنفسها ، هذا لم يكن متوقعاً أبداً ؛ انظر اليهود الأرثوذوكسيين عندما يتظاهرون أمام الكنيست ويثيروا الرعب لدى العلمانيين ؛ أيضاً هذا لم يكن متوقعاً, إن ما كان مفترضاً أنه من "الماضي" نجده أمامنا, الأرض المقدسة ، إنها باختصار الأرض الإنسانية بكل عريها, لا يجب علينا أن نفرح ، ولا أن نبكي : إنما علينا مشاهدة الواقع كما هو ومحاولة فهمه.

الهوامش

(1)ريجيس دوبريه ، سيرة حياة : حامل دبلوم في الفلسفة ، رافق المغامرات الثورية للحرب الباردة ، والتي وضعته في قلب الصراعات الحامية ؛ انتسب إلى الحزب الشيوعي ، ورافق تشي غيفارا في بوليفيا ، حيث سجن فيها ثلاث سنوات من ثم تعرف على سيلفادور ألليندي وبابلو نيرودا في التشيلي ، حيث أقام عامي 1972-1971 عاد بعدها إلى فرنسا ، حيث عمل كمؤرخ للإيديولوجيات ، وأسس عام 1996 "دفاتر الميديائية" ، ومن ثم مجلة "الوسيط" عام 2005 . ركز دراساته حول وظيفة الديني في تأسيس الجماعات السياسية ، خاصة في كتابه "نقد العقل السياسي أو اللاوعي الديني" (غاليمار :1981) و " النار المقدسة : وظيفة الديني" (فايار : 2003) , أظهر دوبريه في هذه المؤلفات ، أنه لا يوجد مجموعة بشرية في المجتمع بدون التعالي (transcendence) ، وبدون اعتقادات , بالرجوع إلى مبادئ الميديائية (Mediologie) ، إن دعم انتقال الرسائل (العلامات الكتابية المقدسة ، الطباعة ، الإنترنيت) ، تسمح بدراسة كيفية انتقال فكرة مجردة (دينية ، فنية ، سياسية) ، لتغدو قوة مادية ، لها واقع اجتماعي .

(2)في أساس هذا الكتاب "بريء في الأرض المقدسة" ، هو تقرير ومهمة أمر بها الرئيس جاك شيراك ، حول "التعايش الإثني- الديني في الشرق الأوسط", مع نهاية فترة رئاسة شيراك ، فإن المشروع توقف ، لكن ترك ما يكفي من الانطباعات والأفكار ليغذي هذا الكتاب ذو الاتجاه الأكثر حرية في التعامل مع الموضوعات بعيداً عن الحذر الذي تتصف به التقارير الرسمية, إنها ذكريات رحلة ، حيث يضع المؤلف نفسه على خطى آثار المسيح, إن الكتاب ينزل في تعامله مع الأمكنة المقدسة إلى "المناطق السفلية" لتلك القمم الروحية ، حيث يسعى إلى فهم ماذا يعتقد ويعيش المسيحيين واليهود والمسلمين (في الشرق الأوسط) ، في قلب هذا الصراع الكابوسي المخيف ، السياسي- الديني, إسرائيل ، فلسطين ، سورية ، وخاصة مدينة القدس : في كل مكان تأمل المؤلف حول المصير السياسي والجغرافي للديانة التوحيدية في المكان التي ولدت فيها ؛ بدون مغادرة موقع "البريء" (Candide) ، الذي لا يفقه العربية ، ولا العبرية ، لكن المتمسك بنسق المترحل : وسيط الإعلام (الميديائية) .

مجلة الفلسفة الفرنسية (العدد 17 ،آذار 2008)

الأب باولو في لقاء نابولي

ترجمها عن الايطالية : عامر

السلام عليكم ! – (الجمهور يهتف باولو)

من الشخصي جداً أن أتكلم بلغتي الأم وأنا في المنفى. وددت التكلم بلغة "عروسي المحبوبة سوريا. تلك العروس التي من أجلها "يترك الإنسان أمه وأباه

في ذلك الأحد عندما ذهب ديكتاتور تونس بعيداً, كان يوماً أشبه بعيد الفصح ! مع أننا كنا في منتصف الشتاء. وعندما صرخ المصريون طالبين الحرية, كان ذلك أشبه بالحلم. كنا نتساءل : متى سيأتي دورنا ؟ كنا نعلم بأن المسألة ستكون أكثر صعوبة وألماً في سوريا. كنا نأمل من ذلك الرجل (بشار الأسد) أن يوصلنا إلى شط الحرية ! وأن يضع نفسه في خدمة شعبه. ولكن يا لأسف ! يا للعمى ! يا للخجل

لم نشعر كثيراً بأننا عرب كما نشعر في هذا العام الذي انتفض به شبابنا . باسم جميع الشعب فهمت في هذا العام , أكثر من أي عام مضى , أن تكون عربياً لا يعني أن تكون مغلقاً على ذاتك , أو أن تكون متشدداً, أو أن تكون فاشياً...بل يعني بأن تكون جزءاً من حضارة عريقة ومنفتحة على الجميع . أن تكون عربياً يعني أنك تنتمي إلى حضارة متنوعة الأديان وإلى التنوع الاثني كما هو, على سبيل المثال, وجود الإخوة الأكراد في سوريا. (تصفيق)

هب الطلاب للتظاهر فكان الرد السريع بالاعتقال والتعذيب والسجن . بدأت على الفور تظهر الأكاذيب بالحديث عن الارهاب", "مأجورين من خارج سوريا", "خدمة المؤامرات الصهيونية–الأمريكية–الفرنسية–السعودية–القطرية..." الكل أصبح متهماً بالمؤامرة ضد سوريا وحده الذي سلم من هذه الاتهامات هو النظام السوري ! (ضحك وتصفيق)

سألت أحد الشباب: "نحن الكبار في السن كنا دائماً نتمنى العيش في سوريا حرة ولكننا لم نفلح أبداً في تحقيق حلمنا, بينما أنتم الشبان لديكم شجاعة وتصميم على تحقيق هذا الحلم ! من أين لكم كل هذه الشجاعة الجبارة"؟

"فأجابني: "ما يعطيني الشجاعة هو دم أصدقائي الذي علمني أن أدافع عن الحرية واحد واحد واحد الشعب السوري واحد, هي ليست عبارة عن حقيقة واقعية بل هو برنامج ينبغي تنفيذه. هناك جيران يسكنون في نفس الحي أو حتى نفس المبنى . يغذون أفكار تقسم البلد وهم يقومون بذلك لأنهم فريسة الخوف والكراهية .

جاءني عنصر مخابرات حزيناً مكتئباً وقال لي: "ماذا عساي بفاعل"؟ أجبته: " عليك الانتظار. ولكن يجب أن تفهم بأنك إذا قمت بتضييع إنسانية الأشخاص الذين تخشاهم فهذا يعني بأنك فقدت إنسانيتك. احترم كل إنسان سوري تلتقي به .

أتذكر عندما أتى إلي مجموعة من الشبان المسلمون. قالو لي: " أبونا غداً سوف نذهب للموت في حمص. أعطنا نصيحة" قلت لهم نفس الإجابة : " احترموا كرامة الجميع حتى لا تفقدوا كرامتكم" فأجابوا: " نعم ينبغي علينا أن نفوز من دون أن نفقد كرامتنا وإنسانيتنا, سوف نفوز من دون أن نلوث شرف الإسلام . سوف "نحترم الآخرين حتى عندما يكونون غير قادرين على احترام أنفسهم .

إيقاع الترجمة

مرة كنت على ظهر سيارة تابعة للجيش السوري الحر, وكنا نحمل معنا جثة أحد العمال الثلاثة عشر الذين تم قتلهم. لقد تمت إصابته بطلقة في الوجه. توقفنا لحظة...سائق السيارة (جندي رفض قتل أبناء شعبه فانضم للجيش الحر) نظر إلي وقال: "أبونا صدقني لا أريد لا مجداً ولا نقوداً. كل ما أريده هو أن أستطيع حراثة !أرض آبائي بكرامة وحرية" إنه فعلاً لجندي شاب شريف .

في ذلك الصباح الباكر كنا في مدينة قد تم قصفها. كانت هناك خمسة عشر جثة للدفن, كانت الجثث لا تزال تنضح دماً. رأيت صديقي أبو القاسم السوري إنه رجل عجوز ويمثل أصالة هذا البلد, وكان قد فقد ولديه في هذه المذبحة الظالمة, قام بإخراج جثث من البراد الذي قام بابتكاره. أمام أعين أهالي الضحايا وصار يصيح هو ومن معه "واحد واحد واحد الشعب السوري واحد" ثم صاح "الموت ولا المذلة" قرية تم تدميرها, أولاده تم قتلهم وأمامه جثث أبناء قريته...وهو يطلب الكرامة ! ثم قال "نحن سنيين, مسيحيين, علويين دروز, أرمن, أكراد, نحن سوريين" وطلب من الحاضرين تكرار هذه الكلمات أما جثث ذويهم. ثم قال للأهالي سوريا تتكون من جميع العائلات التي تسكن من حولنا يا له من إنسان شريف أبو القاسم أبو الشهداء

تم اعتقال شاب سوري مسيحي أمام بوابة كنيسة لأن الكنيسة كانت مغلقة! إنه شاب تم قتله من قبل قوات النظام. إنه باسل شحادة الذي كان قد غادر الولايات المتحدة لكي يشهد على حق شعبه بأن يحيا حراً (تصفيق) أصدقاؤه وصديقاته تمت محاصرتهم أمام بوابة الكنيسة. السبب يعود لأن رجال الدين أبقوا البوابة مغلقة بسبب خوفهم ! تم اعتقالهم وتعذيبهم. كانوا مسيحيين ومسلمين متحدين بالصداقة دائماً حصل ذلك في آخر أيام تواجدي في سوريا, حيث أنه تم طردي من سوريا

لسبب وجيه: يا بشار الأسد أنت قمت بطردي. أريد أن أشكرك على فعلتك هذه ! حيث أن الكلمة الحرة هي أقوى من أي سلاح خفيف أو ثقيل

الجمهور ينادي "الله سوريا حرية وبس"

في آخر أيام تواجدي في سوريا في الدير أتى أصدقاء وصديقات باسل إلى الدير من أجل الصلاة لروح صديقهم باسل أتذكر حتى اليوم صديقات باسل كن عبارة عن فتيات متشحات بالملابس السوداء والدموع تنهمر من أعينهم...كن سنيات مسيحيات وعلويات. إنهن يمثلن الشعب السوري

لدينا الكثير من التحديات أمامنا على صعيد الحكم, على صعيد المجتمع وعلى صعيد الإسلام فنحن نعلم تماماً بأنه بين خطوط الثوار هناك أشخاص قد ضلوا الطريق. نريد إعادتهم إلى الحياة المدنية فهم لا يستحقون أن يحيوا حياة الإرهابيين بل أن ساعدوا الجميع في بناء دولة للجميع ليس من العدل أن تظل سوريا حلبة للصراعات الإقليمية والدولية بل سوريا بلد المصالحة اليوم نريد إيطاليا متضامنة مع حوض المتوسط ومع سوريا حرة, ديمقراطية تعددية !

هتافات من بينها...الأب باولو الله يحميه وعندما قام البعض بلعن رموز السلطة, تدخل الأب باولو مستشهداً من الإنجيل:

باركوا لا تلعنوا ! باركوا البلد ! باركوا أولادنا ! باركوا أرضنا ! باركوا (أمواتنا ! الله يحمي بلدنا ! (الجمهور آمين)

الله يحررنا جميعاً من الداخل ! (الجمهور آمين)

الثورة السورية و السياسة الدولية
مراجعة للمواقف الدولية و رؤية لانتصار الثورة

هادي اليحفوفي

وجهة نظر المصلحة الأمريكية لتحليل الأزمة السورية ,ترى أن العلاقة بين مشاكلها مع سوريا وإيران هي واضحة. النظام السوري المتمثل في بشار الأسد هو أقرب حليف لإيران , وصلتها إلى منطقة الشرق الأوسط العربية. وقد وفرت سوريا الجسر البري لنقل الاسلحة الايرانية والمقاتلين إلى لبنان وقطاع غزة. فمن دون سوريا ,تصاب قدرات إيران على فرض هيمنتها الإقليمية ,وقدراتها على تحدي إسرائيل بالشلل. لكن بنظري يخطأ من يظن ان ايران تنظر الى النظام السوري كحليف استراتيجي لها ,بقدر ما تعتبره كذراع طويل لها , مما يعني انها ستكون على استعداد لتحارب من اجل بقائه ,كونه جزءاً عضوياً مرتبطاً بجسدها و يؤمن لها تكوين خطاً دفاعياً أول لحماية برنامجها النووي ,و فرض هيمنتها الإقليمية . و بقراءة متمكنة لأهداف ايران الحالية من المجتمع الدولي فهي تسعى:

– الى اعتراف العالم بحقها الشرعي في تخصيب اليورانيوم للأغراض السلمية.

– استخدام هذا الاعتراف للتطوير السري لقدراتها التصنيعية للوصول الى مرحلة ما قبل تجميع القنبلة الذرية. أي ان تكون قادرة على تخصيب اليورانيوم العالي النقاء اللازم لها ,ان لم نقل جاهزاً في مستودعاتها , وقادرة لتجميعها خلال فترة قصيرة ,ففي نظرها ان هذا يشكل عنصر ردع كاف مرحلياً.

– من خلال هذا الواقع تريد للعالم ان يعترف بها كدولة اقليمية أساسية و يعترف بمصالحها على صعيد المنطقة و بدورها الاقليمي.

بالتالي نجد ان ايران اجادت لعبة كسب الوقت للمضي في برنامجها النووي و تعاملت مع الأزمات بحرَفية و تمَكن عاليان ,كما انها استغلت الأزمة السورية لإرباك الموقف الدولي تجاهها و خططه لأي مواجهة عسكَرية محتملة ,و لولا النظام السوري لما تمكنت من تحقيق نفس ذلك الموقع.

و في عودة لما قلناه نقرأ ,ما صرح به قائد القيادة المركزية الامريكية الجنرال جيمس ن. ماتيس في شهادته أمام الكونغرس في مارس اذار الماضي بأن سقوط الأسد سيكون "اكبر نكسة استراتيجية لإيران منذ 25 عاما." ان العمل على حدوث ذلك , ليس فقط ضرورة إنسانية بعد ذبح أكثر من 10,000 من المدنيين , ولكن اهتمام استراتيجي رئيس للولايات المتحدة. (×)

هنا نطرح التساؤل حول الموقف الأمريكي المتأثر بالموقف الاسرائيلي , من الأزمة السورية و عدم حماس البيت الأبيض لفكرة التدخل العسكري المباشر أو حتى (على اقل تقدير) الغير مباشر للإطاحة بالرئيس الأسد؟ و من خلال استقراء المواقف العامة للسياسيين و تصريحاتهم و ما يسرب من الاجتماعات خلف الأبواب المغلقة ,نجد ان السبب الأهم المعطى هو بسبب القلق بشأن ما يمكن أن يأتي بعد سقوط الأسد و نظامه. و هذا هو أيضاً عنصر قلق تتلاقى عليه القوتان الأكبر عالمياً , الولايات المتحدة و روسيا (وان كان لأسباب مختلفة لكلاً منهما) ,مما دفعهما لمحاولة التنسيق بينهما حول ايجاد مخرجاً أمناً للأزمة السورية , يخرجهما من التعاطي مع المجهول و يحقق انتقالاً للسلطة أقل ضبابية ,بحيث لا يؤدي للفوضى في المنطقة و يبقي على العلاقات السورية الروسية كما هي محافظاً على مصالح روسيا فيها و محققاً للحد الأدنى من مصالح الغرب.

و العنصر الغائب الحاضر دوماً هو اسرائيل و امنها ,و نظراً لكون النظام السوري الحالي أثبت انه نظاماً يمكن التنبؤ بأفعاله و ردود فعله ,كما أنه اثبت انه حارساً وفياً للحدود التي ابقاها هادئة لعشرات الأعوام ,و لا يوجد لديه الاهتمام لتحويل سوريا الى دولة متطورة و قوية , بالتالي و من وجهة نظر اسرائيل الحقيقة ,انها لن تجد بديلاً افضل منه. و يتلاقى هذا مع دخول الرئيس أوباما معركة اعادة انتخابه بادعاء أساسي يستخدم في حملته الانتخابية بأن " تيار الحرب " يتضاءل في الشرق الأوسط ,و هذا بحد ذاته يشكل عنصراً كبيراً في الموقف الأمريكي.

ان حسابات الادارة الأمريكية ,للتعامل مع سوريا و ايران ,هي اكثر تعقيداً مما تبدو عليه ,فالنظام السوري ليس فقط ذراعاً لإيران ,فهناك علاقة اخرى تكمن في ان الغرب قد حدد هدفاً استراتيجياً مميزاً لكل منهما و يتوجب تحقيقه سريعاً. بالنسبة لسوريا ,اسقاط نظام الأسد و استبداله بنظام ديمقراطي. اما بالنسبة لإيران فهو مَنعها من التوصل لصناعة قنبلة ذرية. و لكن هذا التحالف اكتشف ان احراز تقدم على احدى الجبهتين ,يؤدي لتعقيد تحقيق تقدم على الجبهة الأخرى. و للحقيقة يجب القول ان من يقف بوجه التدخل العسكري عدا عن روسيا و الصين و بقوة اكبر هو إسرائيل و حجتها في ذلك دائماً القول " انه في حال دخول الولايات المتحدة في

وجهة نظر

أعمال عسكرية ضد النظام السوري ,هل سيبقى ممكناً القيام بضربات جوية على المنشآت النووية الايرانية؟ و ماذا سيحدث ان قامت اسرائيل بتنفيذ هجوماً عى هذه المنشآت , اثناء وجود أعمال عسكرية في سوريا؟ الجواب المنطقي هو انه ستكون هناك حالة من الفوضى التي قد تخرج عواقبها عن السيطرة. وفق ما صرح به الصحفي الأمريكي جاكسون ديل في مقاله في الواشنطن بوست حين قال أيضاً ,انه سأل مسؤولاً اسرائيلياً كبيراً حول هذا الموضوع فأجابه "اننا نركز على إيران و أي شئ ممكن ان يخلق الهاءً عنها ,هو غير جيد"

استراتيجية اوباما بالنسبة للتعامل مع ايران مبنية على تجنب العمل العسكري ضدها , و التوصل لإبرام صفقة دبلوماسية معها. و هذه الاستراتيجية تقلل من خياراته المتاحة للتعامل مع الوضع السوري ,فهذه الصفقة تتوجب لمرورها الدعم الروسي و موقف الروس من الوضع السوري معروف و كان مبنياً على تفادي الزام الأسد بترك السلطة بأي ثمن. بالتالي ان اراد اوباما صفقةً دبلوماسية مع ايران فعليه القبول بما يقبل به بوتين بخصوص الأزمة السورية و اصبح لا يملك إلا ان يستعطف بوتين من اجل السماح بالتحول الديمقراطي في سوريا ,او يوضح غاضباً أن سياسة بوتين تدفع باتجاه حرباً طائفية كارثية فيها.

جذور المشكلة تكمن في تضارب الأهداف المربكة للسياسة الأمريكية. فهي تسعى في سوريا الى رحيل الأسد و التحول الى نظام ديمقراطي. ولكن في ايران قد حددت هدفها بالتقارب مع نظام الملالي في تبادل لقبولها بالحد من التسلح النووي. و نتيجة لذلك يسعى اوباما لتناول الحل للأزمتين معاً بالطرق الدبلوماسية.

ان قرارات مجلس الأمن الحالية و خطة عنان ذات النقاط الستة ستفشل. فاسقاط نظام الأسد لا يمكن تحقيقه إلا عبر ضغوط اقتصادية و عسكرية متلازمة بواسطة المعارضين في الداخل أو قوى خارجية ,لكن الموقف الروسي القلق على مصالحه في مرحلة ما بعد الأسد و معرفة ايران بالوضع الدولي العام و قيمة النظام السوري ككرت تفاوضي ,الذي وَضِحَ بشكل لا يقبل الشك عندما طلبت ايران رسمياً في جولة مفاوضاتها الأخيرة ضم الموضوع السوري لجدول المفاوضات القادمة و التي ستستضيفها روسيا , و طلب عنان ضم ايران لفريق الاتصال الدولي الذي يعمل على تشكيله لا يجاد مخرج للأزمة السورية. و رفض الولايات المتحدة لكلا الطلبين كونهما يتضاربان مع هدف تغيير النظام. يوضح بشكل لا يقبل الشك أن الطريق الوحيد الممكن وفق المعطيات أعلاه لحل الأزمة يكمن في الداخل السوري أولاً و عبره.

ان تدخل القوى الخارجية الحاسم و الفاعل غير ممكن في ظل المصالح المتشابكة و المترابطة التي ذكرتها أعلاه ,بمعنىً أخر ,يتوجب على الداخل السوري فرض واقعاً جديداً ,يضع جميع هذه القوى أمام حقيقة لا تقبل الشك ان هذا النظام آيلٌ للسقوط من الداخل أو ان الفوضى (اقليمياً) والتي يتخوفون منها قادمة لا محالة ان لم يحسم موضوع تغيير النظام , بأسرع وقت.

لتحقيق ذلك بأقل التكاليف و اقصر فتره ,و جعله ممكناً ,يتوجب علينا القيام بإعادة هيكلة للحراك السلمي و العسكري و السياسي ,و رسم استراتيجية تحقق التواصل و التكامل فيما بينهم ,و تؤدي لوجود قيادة سياسية مصغرة لهذه المرحلة ,تتمتع بثقة الحراك الشعبي بشقيه ,كما بالتزامهما بقيادتها و بقراراتها ,فقدان ذلك يفقدها احترام القوى الخارجية و أخذها محمل الجد ,و يفقدها القدرة على منح التطمينات اللازمة للقوى الخارجية المؤثرة (ففاقد الشئ لا يمكن ان يعطيه) ,و على هذه القيادة السياسية أن تتقدم و عبر التواصل مع كافة قوى الحراك الشعبي (بشقيه) و الشارع الصامت و القوى الاقتصادية المؤثرة ,بخارطة طريق واضحة المعالم و مطمئنة للمجتمع السوري بقاعدته الواسعة ,وتحقق الاجماع عليها ,أولاً ,و كما تظهر للمجتمع الدولي ملامح المرحلة الانتقالية و تثبت له قدرتها على تنفيذها ,عبر التزام قوى الحراك (بشقيه) بإستراتيجيتها و خارطة الطريق التي وضعوها معاً و الالتفاف حول هذه القيادة السياسية و اظهار الالتزام الفعلي بقراراتها. (السياسة الدولية لا ترغب بالتعامل مع ما لا يمكن ان تتوقعه و لا مع الأطراف التي لا تملك القدرة على القيادة و التحكم)

يجب ان توضح هذه الاستراتيجية و خارطة الطريق رؤيتنا كسوريون ,للتفاصيل العملية للمرحلة الانتقالية و آليات تطبيقها و كيفية تعاملها مع المصالح الدولية المتضاربة ,بحنكة سياسية تحقق التلاقي بين مصالحنا الوطنية و هذه المصالح ,و تترافق هذه الخارطة مع خطة داعمة لتحركاتها السياسية بشق النشاط الميداني للحراك منها,بحيث تصب انجازات أي شق فيها ليحصد ثمارها الشق الآخر ,و تدعم تحركاته.

ان لم نفعل ذلك و بشكل سريع فالبديل سيكون حرب أهلية و طائفية (بدأت منذ فترة) و تتحول الى كارثية

بكل معنىً للكلمة , و حصارٍ يتحكم بالموارد , ليسمح باستمرار الثورة لا انتصارها ,كما سيؤدي الى ظهور و استحكام ظاهرة " أمراء الحرب " التي ان استحكمت , ستودي الى فقدان المقدرة على حصد ثمار التضحيات , التي دفع ثمنها أبنائنا و رجالنا و نسائنا و اطفالنا الشهداء بالدم و المعتقلون بالتعذيب و كل مواطن سوري بالمعاناة المعيشية التي ستتفاقم.

انها امانة في اعناقنا و واجب علينا لأبنائنا أجيال المستقبل. يجب ان لا ننتهي مهما غلىَ الثمن بوطنٍ تفرض سياساته و تحصد نتائج الثورة فيه قوة السلاح او التقاسم الطائفي او سيطرة رأس المال او المصالح الخارجية. نريده وطنٌ ديمقراطي ,مدني ,يحكمه دستور جامع ,يمكن الناس أن يشرعوا عبر ممثليهم المنتخبين ,و يعطيهم الحق في اختيار هؤلاء الممثلين و محاسبتهم و قوانين تطبق هذا الدستور ,تحترم كرامات الناس ,و تحافظ على حقوقهم ,تحقق العدالة الاجتماعية و المساواة ,و تمنح الجميع الحق بالتعليم و العمل و العناية الصحية و اهمها الحق بالسعي لتحقيق السعادة.

وجهة نظر

سوريا ... المعادلة الصعبة

عبد الرحمن حلاق

وجهة نظر

كمن يمزق لوحة جدارية لحديقة زاهرة تمثل " سورية الأسد " ليكتشف أن خلف اللوحة واقع مرير مفجع ، لعرين يمتلئ ببقايا العظام البشرية وأشلاء الأطفال الممزقة .

كانت : بلد الأمان والاستقرار . يقول مسؤول هنا ومسؤول هناك .

سوريا بلد الحضارة والتاريخ . يجيب آخر . ثم يعرض التلفزيون الرسمي صورة الحاكم الشاب ، الطبيب المفعم إنسانية ، وهو بين رعيته يضحك ويلعب ، وخلف المشهد مناظر مشرقة لسهول خضراء وجبال زاهية ، وصخورٍ تغتسل بمياه الينابيع وتختتم ابتسامة طفلة تلعب تيترات المشهد .

كانت : الرقم الصعب في المعادلة الدولية ، ولم لا وقد منحها أحدهم المكانة بقوله (لاسلام بدون سوريا ولاحرب بدون مصر) . شكا منها " المالكي كثيراً وقد تجاوب معه الكثير من العراقيين ، وشاطرهم بوش الابن الموقف ، فالدور السوري في العراق دور محوري . حتى لظن حكام سوريا أنهم سادة الموقف في بلاد الرافدين .

كانت ... سيدة الموقف اللبناني قبل خروج الجيش السوري من لبنان وبعد خروجه ، وما يزال لبنان الشقيق يرضخ لكلمتها العليا .

كانت ... الواحة ... الرقم الصعب ... أو ربما الأراكوز الذي يمسك بخيوط اللعبة ويتفنن في استعراض رقصات الموت ورقصات الترغيب والتهديد .

فما الذي تغير ؟

عندما قرر مجموعة من الشباب السوري الحر أن يرفعوا أصواتهم تأييداً لما جرى في تونس ومصر وليبيا ، تلقت كلاً من سهير الأتاسي ومروة الغميان أولى الصفعات في قلب دمشق ، ووقف رستم غزالة أحد أهم الضباط المشتبه فيهم بقضية الحريري ليقول لها : أتفكرون في قلب النظام ؟ لاتحلموا ولو ضحينا بمليون سوري .

وعندما خط مجموعة من أطفال درعا أولى الكلمات تصدر " حمزة الخطيب " المشهد الإعلامي العالمي بجسده المثقب والمنتفخ وبعضوه الذكري المبتور . لم يحدث هذا في ساحة مواجهة مسلحة بل في أقبية التعذيب المخابراتية . يومها فقط استطاعت درعا تمزيق تلك اللوحة الجدارية لحديقة زاهية زاهرة أرادها الأسد الابن صورة لسوريا ، ليخفي خلفها ذلك الواقع المرير ويخفي كذلك أنيابه الماصّة للدماء .

أذكر أيام الثورة المصرية كيف كان الشعب في سوريا مسمراً أمام شاشات الجزيرة والقنوات التي شاركتها البث ، لم يكن فقط فرحاً بما يصنعه شعب مصر العظيم بل كان السؤال الذي يدور في رؤوس الجميع : هل سيحصل هذا في ميادين سورية ؟

ولأن السؤال أرقني كثيراً ، عدت إلى حلب أتنقل بين مقاهيها من مجموعة إلى أخرى نتدارس الواقع همساً . كان ثمة اتفاق على أن اجتثاث الخوف من نفوس الناس مهمة أشبه بالمستحيل . خرجت منها مثقلاً بالهم شبه يائس . أستذكر ماعشته في ثمانينات القرن الماضي وكيف جوبهت مجموعة مسلحة لا تتجاوز العشرات بحرب شاملة على مدينة كاملة ، فُتشت غرفها غرفة غرفة ، وقتل الكثير من أبنائها وهم يقرؤون الفاتحة على موتاهم صبيحة عيد في مقبرة " المشارقة " .

اليوم يستطيع أي حلبي أن يقول لك : " كان في هذا المكان حارة تسمى المشارقة " ، ويستطيع أي حموي ـ أو إدلبي ـ أن يروي لك الآن مالن تصدقه من مشاهد الرعب التي لو رآها هيتشكوك لخجل من تواضع إنتاجه ، ولو رجع إليها هتلر أو موسوليني لاستسخفا ماكانا يقومان به .

" هل تريد أن تحكم شعبك وهو أشلاء " يقول وزير خارجية السعودية . وأجيبه أنا : نعم . فقد فعل أبوه من قبل .

الآن : " لانستطيع إلا أن ندعم حليفنا الاستراتيجي " يقول المالكي . وهنا لابد من أن نتساءل هل كانت السيارات المفخخة التي فتكت بأهلنا في العراق تعمل لصالح المالكي ضمن إطار هذا التحالف الاستراتيجي بينه وبين الأسد الابن ؟ وهل يدخل في هذا التحالف الاستراتيجي آية الله أحمد جنتي في إيران الذي حرض الجمعة الماضية (24 فبراير 2012) الشيعة العرب لدخول سوريا والقتال بجانب النظام ، كي لاتقع سوريا بأيدي أعداء آل البيت ؟ أم أن هذا التحالف الاستراتيجي أعمق بكثير فقد نقل عن بوتين قوله : لن يكون هناك حاكم في سوريا غير بشار الأسد طالما أنا في السلطة .

لقد دخل الشعب السوري مرحلة من الاستعصاء نتيجة تداخل المصالح الدولية وتضاربها ، بات فيها هذا الشعب وكأنما يحارب العالم ، وكأن المؤامرة الكونية قائمة بالفعل ولكن ليس على العصابة الحاكمة وإنما على الشعب السوري . خاصة وأن مؤتمر أصدقاء الشعب السوري كان على هذه الدرجة من الهزال والضعف ، فماذا تعني مساعدات إنسانية واعتراف بالمجلس الوطني في وقت تشن فيه العصابة حرب إبادة على حمص وإدلب . هل يريد العالم أفغنة سوريا من أجل إسقاط إيران ؟

تزداد الصورة قتامة أمام هذا السناريو المحتمل ، ومجرد التفكير فيه يبعث الرعب في مفاصل أي إنسان حر .

عندما احتل الاتحاد السوفياتي أفغانستان قدم العالم العربي والإسلامي كل الدعم العسكري للفصائل المسلحة في أفغانستان وجيش لها كل وسائل الإعلام المتاحة ، كان الهدف استنزاف السوفيات على أرض أفغانستان وعلى حساب الشعب الأفغاني ، وقد تم ذلك لها وانهار الاتحاد السوفياتي . فكم سنة يحتاج العالم لإسقاط إيران عبر هذا السيناريو المحتمل ، والذي سيحصد بكل تأكيد عشرات الآلاف من أرواح السوريين .

إيران وعلى لسان أحد مسؤوليها الكبار تصرح أن الهجمة هذه المرة تطال العقدة الحساسة الأهم في محور الممانعة ، ولن تتخلى عنها مطلقاً ولذلك تهيب على لسان مرجعيتها الدينية بالشيعة العرب للزحف المقدس إلى سوريا لإنقاذ النظام .

روسيا تعتبر الأسد الابن موطئ القدم الوحيد المتبقي لها في منطقة الشرق الأوسط ، وأمام عجزها في مقاومة نشر الدرع الصاروخي الأمريكي تجد نفسها مضطرة لأن تدعم الرئيس السوري ولن تتخلى عنه مطلقاً ، خاصة وأن قاعدتها العسكرية في طرطوس لم تكتمل بعد ، ستتشبث بموقفها الداعم بكل ماتملك من قوة خاصة بعد انطلاء لعبة الغرب عليها في ليبيا واهتزاز صورتها أمام شعبها الذي يكنّ العداء والكراهية للغرب عامة ولأمريكا خاصة .

أما الأسد الابن وشركاؤه فهم يرونها حرب وجود ، فإذا كانت القيادة السورية قد أعطت الأوامر للجيش بالانسحاب الكيفي سنة 1967 ، وكذلك فعلت في 1973 بعد أن شرب أفراد من الجيش السوري من مياه طبريا ، فإنها في سنة 2011 أعطت الأوامر لقيادات الجيش وقيادات الأمن بالقمع الكيفي . والقمع الكيفي تابع لرؤية هذه القيادات على الأرض ، وهذه الرؤى المختلفة في طرق القمع تصدر جميعها عن عقيدة لخصها أحدهم على صفحة في الفيس بوك مقترحاً الحل:

(أنا بعث وليمت أعداؤه عربيٌ عربيٌ عربي ، من هذا علينا قتل كل معارض نبدأ بقتل الكبار حتى لايخلفوا لنا عراعير صغار ومن ثم ذبح أطفالهم الصغار لأن إذا ما ذبحناهم قد يصبحون معارضين في المستقبل وعند ذبحهم علينا أن نكبر (بسم حزب البعث) ليكون ذبحهم حلال ، نحن 2,8 مليون بعثي ونضم إلينا 3 مليون من بقية الطوائف الكريمة لنصبح بحدود 6 مليون وهذا كافي وزيادة ، أما بقية الشعب لافائدة منه فالمعارض والعرعور والحيادي كلهم للحرق والقتل ، لنجعل بابا عمرو مدينة رياضية ، والخالدية والقصور حدائق وفنادق باب السباع وجب الجندلي مقاصف وملاهي ، درعا وقراها سهل حوران سنزرع القمح والزيتون ، إدلب والزاوية وحماه ..... وبهذا تبدأ في سوريا مرحلة من الاستقرار والرخاء ونحل مشكلة الكهرباء والمياه ولن يوجد عاطلين عن العمل وكل 10 طلاب في الصف وسنجلب اليد العاملة من إيران الشقيقة .....)

هذه العقيدة بدأت تشق طريقها إلى عقول الكثيرين من الموالين ، أما ترجمتها على أرض الواقع فيمكن توضيحها على الصورة الآتية :

سبعة عشر فرعاً أمنياً لكل فرع استقلاليته الخاصة ، تقوم جميعها على حماية أمن النظام ، يحميها القانون السوري من أي مساءلة على الإطلاق ، لذلك يتنافس رؤساء الفروع في إظهار الولاء المطلق من خلال شدة قمعهم لأي مواطن يصرخ أو يغني أو يكتب .... أو يتمرد . إلى جانب هذه الفروع تتقدم الفرقة الرابعة والتي تعد أقوى قوة ضاربة في الجيش السوري من حيث التدريب والتسليح ، والغالبية العظمى من ضباطها وأفرادها هم من الطائفة التي عمل النظام على مدى أربعين سنة على اختطافها واستغلالها . وبكل تأكيد يساند الفرقة الرابعة مايسمى بالحرس الجمهوري وهو لايقل شراسة عنها . فإذا أضفنا إلى هذه القوى الضاربة قوة جيش من الشبيحة كونه النظام في الشهر الأول من الثورة ، بواسطة حزب البعث ومنظماته العاملة في كل حي وكل

شارع ، وجميعهم من إما حثالة المجتمع أو المجرمين المساجين الذين أخرجهم الرئيس بمرسوم رئاسي خاص يعفو فيه عن جرائمهم السابقة . نجد أنفسنا أمام فائض قوة عظيم لم يشهد له التاريخ مثيلاً .

أمام هذه القوى وقف الشعب السوري ليعلن عن رغبته بالحياة وعن رغبته في الحرية ، وواجه ـ ويواجه ـ آلة القمع هذه بصدر عارٍ ، لكن أركان العصابة الذين لم يروا في الشعب أكثر من مجموعة عبيد ، لم يستطيعوا احتمال الصرخة ، ولم يتخيلوا يوماً أن يقف في وجههم رجل بسيط من عامة الناس ليصرخ قائلاً : " أنا إنسان ، أنا لست حيواناً ، هؤلاء الناس كلهم مثلي ، لقد داسوا على رقبتي " هذه الصرخة جعلت من أحد أبواق النظام المتنورين بشهادة عليا أن يتساءل باستغراب شديد : " أي نوع من الحرية يريدون ؟ ! " وكأن للحرية ماركات مختلفة وموديلات مختلفة .

هل اكتملت الصورة السياسية أو الإنسانية ؟

بكل تأكيد لا لم تكتمل بعد فهذا جزء من الصورة وما يجري على الأرض على الصعيد الإنساني يعد أهم صورة في تاريخ الإنسانية ربما . وقد تكون خاتمة الجرائم الإنسانية ، وما وصلكم من صور لتقطيع أجساد المعتقلين ليس إلا صورة أضحت عادية في أي معتقل . هل جاءكم خبر طفل في الثالثة عشر من عمره يسأله محقق برتبة عقيد أراد أن يتسلى قائلاً له :

ـ أكمل مايلي بما هو مناسب : (الله ... سوريا .....)

أجاب الطفل ببراءة : (..... حرية وبس) . فما كان من المحقق العقيد إلا أن أمر بإبريق من الشاي الحار وسكبه على ظهر الطفل العاري ، هل يستطيع أحدكم تصور حالة أمه عندما رأت الحفرة في ظهره وهو بين الحياة والموت ؟ أم جاءكم خبر الطفلة ابنة الشهرين التي قضت تحت التعذيب فقط لإجبار والديها على البوح بمكان أولادهم ؟

لا ياسادتي أنا لا أبالغ وثمة ماهو أفظع . فقط أردت نقل هذا لأنتقل بكم إلى الجهة المقابلة ولأضعكم أمام السؤال الأهم ، والمعضلة الأهم .

فأما السؤال : هل يستطيع كل هذا الإجرام أن يعيد أبناء الشعب الثائر إلى بيوتهم ؟ بالتأكيد . لا . وأستطيع أن أؤكد ذلك ، فالطفل ابن السنوات العشر الذي وقف أمام المراقبة السودانية (نون يوسف) ليعطيها ورقة تحمل أسماء لمعتقلين من قريته أفهمَها بلغة فصيحة أن هؤلاء المعتقلين لن يطالب بهم أحد لأن أهاليهم إما شهداء أو مشردون مطاردون ، كتبت لك أسماءهم ومشيت من قريتي إلى مدينة أريحا لأقدمها لك . مع ملاحظة أن أحداً من الأسماء المسجلة في القائمة لايمت له بصلة قرابة . هذا الطفل وكثيرون غيره هم اليوم من رجالات الحراك الثوري . لقد آمنت أخيراً بقول عمرو بن كلثوم :

إذا بلغ الفطام لنا صبي يخر له الجبابر ساجدينا

ولأن الشعب وصل نقطة اللاعودة ، وبات يعرف تماماً أن في عودته موت تماماً كما في تقدمه موت ، لذلك رفع شعار (الموت ولا المذلة) منذ اللحظة الأولى ، وهو ماضٍ بثورته لآخر قطرة دم ، وهنا تكمن المعضلة واللحظة السكونية القاتلة :

فالنظام مُصرّ على القتل والتدمير و التجويع والشعب أكثر إصراراً على الثورة . وذلك في عالم قذر يحسب مصلحته بالمسطرة غير مبال في أعداد القتلى وأنهار الدماء ، يلقي باللائمة على المعارضة المشتتة كي يخفي عدم رغبته في القيام بأي فعل إنقاذي .

اليوم يستطيع أي حمصي أن يقول كان هذا الحي المدمر عامراً بالحياة ، وكان اسمه (بابا عمرو) قد لايعرف الكثيرون من هو عمرو ، إنه الصحابي الجليل عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، سمي الحي باسمه وجعل له بابان مشرعان على المحبة والحرية يأتيهما الهواء نقياً من البحر المتوسط مباشرة ، فقد أفسحت الجبال فسحة لمدينة حمص كي تغتسل كل صباح بهواء البحر ، البحر الذي تطل عليه شعوب العالم القديم ، فإذا كانت القارات الثلاث تقاسم حمص الهواء ، فلماذا تمتنع اليوم عن إنقاذها من براثن أسد يفترسها صباح مساء بصواريخ الموت وقناصته الطائفيين .

عن يسارٍ "ممانع" خذل سوريا

ياسين سويحة

في نقدي لموقف قطاعات واسعة من اليسار من الانتفاضة السورية الكثير من الألم الناتج عن شعور بخيبة الأمل من رفاق أراهم الآن مصرين على البقاء خارج التاريخ، متحسرين، حسب قولهم، على انتصار ثورة مضادة على ثورة أدموها بتشكيكهم وتعاليهم وتنظيراتهم التعميمية السطحية. لم ير هؤلاء مستضعفين في سوريا يقفون معهم، بل أن نظراتهم الملتزمة التقطت، وبحساسية عالية الدقة، بصمات قطرية وسعودية وامبريالية– صهيونية. بين الحين والآخر، إذا بقي هناك بعض الوقت بعد نكش كل ما يمكن نكشه من تغطية قناة الجزيرة هنا أو أقوال معارض موتور هناك، يؤكد رفاقنا هؤلاء على تضامنهم مع حق كل الشعوب العربية في إسقاط أنظمتها. أي، بمعنى آخر، على الشعب السوري أن يُسقط كل الأنظمة العربية دون الاستثناء، ثم يحرر فلسطين وعربستان وأوغادين، عندها، فقط عندها، ربما يُسمح له، بعد وجبة تشكيكات وامتحانات مواقف مطولة، أن يُسقط نظاماً لا ينكرون أنه سيء، لكنهم يستدركون أن له وضعاً خاصاً ناجماً عن كونه "داعماً للمقاومة".

لطالما أكد يسار "محور الممانعة" في لبنان (وهو الأكثر حضوراً إعلامياً، وبالتالي يشكل خطابه نواة "اليسار الممانع" العربي) أن وقوفه مع حزب الله محصور في خانة مقاومة العدو الصهيوني، وأن هذا الموقف لا يعني، على الإطلاق، دعم أي مواقف أو توجهات أخرى يتخذها الحزب. لذلك، كانت مواقف حزب الله بما يخص بعض القوانين المحلية اللبنانية، خاصة تلك المعنية بالجوانب الاجتماعية، فرصة كي يثبت هذا القطاع من اليسار لنفسه أنه قادر على الاختلاف مع الحليف في الأمور التي لا تتعلق بالمجال الصرف لمقاومة العدو الصهيوني. لم تشكل بدايات موسم الانتفاضات العربية تحدياً لهذا الموقف، إذ لم يكن في دعم إسقاط الشعبين التونسي والمصري لنظامين "غير ممانعين" شطارة بما أنه لم يخرج عن موقف حزب الله، بل وموقف النظام السوري نفسه. كما كان التضامن مع الشعبين الليبي والبحريني متجانساً مع عداء حزب الله لنظامي كلا البلدين. لم يأت الامتحان حتى الخامس عشر من آذار، حين اندلعت الانتفاضة ضد النظام "الممانع"، الحليف الوثيق لحزب الله.

فوجئ اليسار الممانع باندلاع انتفاضة لم يكن يتوقعها، ووجد نفسه مجبراً على اتخاذ موقف إزاء نظام لا يمكن الدفاع عنه باستخدام لغة اليسار الأخلاقية، كما لا يمكن اتخاذ موقف جذري ضده لأنه حليف حزب الله الوحيد بين البلدان العربية. أمام هذه المعضلة قرر السواد الأعظم من اليسار الممانع (والاستثناءات موجودة، لحسن الحظ) اتخاذ موقف "وسطي" سياسياً، مراوغ أخلاقياً، ومدمن على استخدام المفارقات لغوياً. لا يُنكر أحقية الشعب السوري بالانتفاض ضد نظام استبدادي يعتمد الإفقار الاقتصادي والسياسي والثقافي والأخلاقي أسلوباً للحكم، لكنه أيضاً يؤكد وجود مؤامرة ضد النظام لدوره في "دعم المقاومة". دعم لفظي وشعاراتي عابر لحقوق وحريات وكرامة الشعب السوري مقابل أطنان من التشكيكات والطعونات والمطالبات غير المنطقية بمواقف لم يُطالب بها شعبٌ من قبل. كل صوت معارض هو موضع تشكيك وتمحيص، وبالنهاية يُرفض. لا خيارات سياسية واضحة تحدد، لا اقتراحات، لا سيناريوهات، لا مواقف، بل فقط استراحة تامة في موضع المتفرج السلبي النقاق، المواضب على التشكي والتشكيك. كما يطعم اللاموقف هذا بآراء وهجومات ثقافوية استشراقية على أي مظهر إسلامي لطالما وقفوا ضدها بشراسة (وبحق) حين استُخدمت غربياً وصهيونياً ضد حماس وحزب الله. لا استخدام لأدوات الدراسة المتوفرة لدى اليسار لتحليل أسباب تقدم الإسلام السياسي في البلاد العربية، ولا نقد ذاتي بخصوص إخلاء الساحة الشعبية للإسلام السياسي بالكامل والاكتفاء بالبرج العاجي المتعالي على "الجماهير". يكتفون باتهام قطر بإدارة مؤامرة لتسليم كل البلاد العربية لحكم الإخوان المسلمين، الذين، على ما يبدو، قد أصبحوا الآن بما فيهم حركة حماس أذناباً للإمبريالية والصهيونية.

تسألهم عن رأيهم بممارسات النظام السوري قبل وأثناء الانتفاضة فيجيبونك عن إهمال العالم لانتفاضة البحرين وتآمر الجميع عليها وسط الصمت الإعلامي المطبق. صمت يُكثرون من التذكير به عند ظهور أي تغطية إعلامية لما يجري في سوريا بشكل يوحي وكأنهم يتهمون أولئك الذين يقبعون تحت الرصاص والقذائف في حمص وإدلب وحماة وريف دمشق ودرعا ودير الزور بالتسبب في التعتيم على قمع الشعب البحريني. تطالبهم بموقف من قصف أحياء حمص وقرى ادلب فيردون، متخذين موقف دفاع محموم، بالحديث عن نهر البارد وكأن أهل بابا عمرو أو تفتناز هم من قصف المخيم الفلسطيني. توافقهم على أن صولات وجولات أحمد الجلبي في الحديث باسم انتفاضة البحرين لا تعيب حراك الشعب البحريني من أجل الحرية والعدالة والمساواة في

وجهة نظر

بلادهم، لكنك تكتشف أن الشعب السوري لا يستحق منهم، على ما يبدو، هذا القدر من التفهّم وسعة الصدر: أن يتحدّث سمير جعجع عن دعمه للانتفاضة السورية هو سبب أكثر من كاف للاحجام عن دعمها. لا نستطيع أن نكون مع سمير جعجع في صف واحد. تستطيعون إذاً أن تكونوا في صفّ واحد مع أحمد الجلبي؟ صمت. المشهد السوري شديد التعقيد. هناك مطامع إقليميّة ودوليّة واضحة، هناك سعي حثيث لدى مختلف المحاور لاستغلال فرصة تأزم الأوضاع في سوريا للتمدد بالنفوذ، هناك معارضة سوريّة بائسة ومفتتة وعاجزة، حتى الآن، عن القيام بدور قيادي وتمثيلي لائق ومتناسب مع حجم التضحيات التي قدّمها الشعب السوري في انتفاضته، وهناك حاجة ماسّة في كل ما سبق لإعمال الفكر السياسي النقدي وتحسس المواضع ودراسة المشاهد. لكنّ الموقف الأخلاقي السابق والمؤسس لأي عمل سياسي هو أمر مطلوب لدى أيّ يساريّ. فوق كلّ حسابات السياسة والمصالح هناك شعبٌ تحت ساطور أحد أكثر الأنظمة وحشيّة وقمعيّة في العالم. هل من موقف وعمل أخلاقي يساري تجاه ذلك؟ أم فقط هناك حديثٌ مقاه عن قناة الجزيرة وأمير قطر وأمراء آل سعود؟ نعلم أن المجتمع الدولي منافق، كما نعلم أن القوى الإقليمية عديمة الأخلاق، لكن ما معنى استخدام ممارسات وأساليب الانتهازيين والمنافقين كحجّة للاموقف؟ أليس هذا بمثابة المطالبة بحقّ اتخاذ موقف الانتهازيّة والنفاق أسوةً بالغير؟ بماذا تتمايزون عنهم يا "رفاق"؟

الجيوستراتيجيا، على ما يبدو، تجعل من طغيان بعض المستبدين مكروهاً ومحارباً وطغيان بعضهم الآخر مشروعاً أو مبرراً أو مسكوتاً عنه... تجعل الكرامة والحرية مستحقّة للبعض ومرفوضة للبعض الآخر، تجعل المبادئ ثابتةً في مكان ومتعرّجة متراقصة في مكان آخر. الجيوستراتيجيا، على ما يبدو، هي امتحان الشعارات والقبضات المرفوعة. ليس فقط لليسار العربيّ، بل لأغلب خيارات "إعادة إحياء اليسار على أسس أكثر إنسانيّة" في العالم بشكل عام، وفي أميركا اللاتينية بشكل خاص. في كلّ النصوص المنشورة عن سوريا لدى إعلام "اليسار الممانع" العالمي الكثير من التحليل والتدقيق والتمحيص في كل ثنايا الوضع السوري، في كل عقد لكل شركة تسليح أو نفط ولكل تحالف أو تفاهم في العلاقات الدوليّة، لكن عليك، عزيزي القارئ، أن تطيلَ البحث قبل أن تجد إشارة عابرة وصغيرة، لفظية بحته، لمعاناة الشعب السوري. قد يقرّ بعض الكتّاب، وكأنهم يعترفون بخطيئة مشاكسة صغيرة، أن النظام السوري "سيء"، لكنهم لا يمنحون أي إشارة لتفهّمهم لحقّ الشعب السوري في رفع هذا السوء عن عنقه، بل أن النتيجة التي سيخرج منها القارئ، بعد دراسة هذه "التحليلات التقدميّة"، هي أن النظام، على رداءته، أفضل من الشعب نفسه..

ملاً دعم لثورات الشعوب!

لقد دخلت الانتفاضة السوريّة مرحلة اللاعودة منذ زمن طويل، والمنخرطون فيها مصرّون على الذهاب بها حتى النهاية، إن كان ضدّ النظام المستبد الفاشيّ أو ضد أيّ قوى محلّية أو إقليميّة دوليّة تريد حرماننا من حقّنا في بناء دولة الكرامة والمساواة والحرّية. الصعوبات كثيرة والطريق طويل. قد ننجح، قد نفشل. في الحالتين سأفتقد رفاقاً كنت أعتقد، قبل عامٍ من اليوم، أنهم سيطبّقون شعاراتهم، شعاراتنا، وسيقدّمون الإيمان بحقوق وحرّيات وكرامات الشعوب فوق أيّ حساب آخر، وسيكونون بجانبنا ومعنا. أخطأت.

النقد والسلطة والربيع العربي

عزت عمر

كلّما تقدّم الإبداع كلما تقدّم النقد، علاقة شرطية وجدلية في آن، وكلاهما أو بالأحرى كل الآداب والفنون لا تزدهر وتتطور ما لم تتمتع بحرية التعبير التي يكفلها القانون للمبدع أو الناقد باعتبارهما من أبناء المجتمع الذين يسهمون في تقدّمه، مثلهم في ذلك مثل النابهين في القطاعات المالية والصناعية والتعليمية، بل ربما يتقدمانهم جميعاً باعتبارهما ينتميان إلى حقل الفكر الذي هو فكر ناقد بطبيعة الحال.

النقد لا يمكن اعتباره ممارسة فردية تعبر عن مزاجية صاحبها، كما تقال أحياناً للشاعر والفنان، للتهرّب من إشكالية ما قد ترتبط بمفهوم الحرية، أو بالغموض الذي يفتعله المبدع بالحذف أو بالترميز.. النقد فكر يرتبط بالحراك الثقافي ويساهم في تقدّمه من خلال عملية التقدير والتثمين التي يمارسها على النص، وبذلك فإن صاحب النص، أي نص، لا ينبغي أن يتعالى على اجتهادات النقاد في قراءة نصوصه، نظراً لأن هؤلاء النقاد ينتمون إلى مدارس نقدية وفكرية مختلفة، إضافة إلى أن الحساسيات الجمالية قد تختلف من ناقد لآخر، بينما من جهة آخرى لا ينبغي للناقد أن يتعالى على النصوص الأدبية ويتعامل معها على أنه سلطة تمارس تعاليها من خلال الإقصاء أو الإهمال، فالسلطة داء بحد ذاتها بالنسبة للمبدعين فكيف إذا كانت سلطة تمارس عنفاً رمزياً أو غير رمزي إزاء الإبداع والنقد.

في بلدان الاستبداد لا علاقة للسلطة بالإبداع والنقد إلاّ بمقدار ما يساهم هذان الجنسان في المنظومة الاستبدادية ذاتها، تلك التي قامت على تنزيه وتقديس المستبد على أنه الملهم والمبدع الأول وخصوصاً إذا كتب هذا المستبد كتاباً أو ألّف إبداعاً ولنا في مثال القذافي نموذجاً بكتابه الأخضر أو بقصصه التي طبّلوا وزمروا لها في الندوات والمؤتمرات والاحتفالات الجماهيرية، وبالتالي أرى أنه ينبغي أن تكون هناك مسافة واضحة ما بين أصحاب "القداسة" و"المنزهين" هؤلاء وبين النقاد، بحيث تحميهم هذه المسافة من نزوات ومزاجات المستبد وأعوانه ممن تماهوا به فلم يعد بإمكانهم سوى النظر من زاوية رؤيته وموشور المصالح الذي، مع الأسف، يتسع تبعاً للمغريات التي تقدّم لهم من قبل المؤسسات الخاضعة كوزارة الثقافة أو مؤسسة اتحاد الكتاب المعنية بالشأن الأدبي والتي من المفترض بها أن تعمل على حماية الكتّاب والمبدعين، غير بطبيعة تركيبتها تسعى إلى إقصاء الأصوات الحرة وغير المنضوية في مؤسسات السلطة، وإبراز العناصر الموالية بالمقابل بنشر كتبهم وإرسالهم إلى مختلف بلدان العالم ليشاركوا في المؤتمرات والندوات لكي يدافعوا عن عقيدة النظام ويبيّضوا صفحته السوداء، هذا إضافة إلى ما استنه اتحاد الكتاب العرب في سوريا من سنّة دفع رواتب شهرية للمتقاعدين من الكتّاب كي يبقى هؤلاء خاضعين للمؤسسة والسلطة.

ومما تقدّم يمكننا الاستنتاج أن ثمة مشكلة تكمن مابين النقد والإبداع بعامة والسلطة التي لا تكتفي بعملية الإقصاء عن المنابر والدوريات، وإنما تعمل على فرض قيود على المنتجة الإبداعية أو النقدية، فيعمل الرقيب على إيقاف توزيعها، وإن ترافق هذا النتاج مع مواقف سياسية من السلطة تعمل هذه السلطات عادة على إبعاد المثقف من العمل، بل إن كثيرين منهم دخلوا السجون لسنوات عدة بسبب مواقفهم وآرائهم السياسية، ونستطيع الآن تعداد العشرات منهم، وقد يقول قائل إن هذا دأب السلطة مع النقد والنقاد منذ أقدم الزمان، ولكن هذا الرأي لا يعتد به نظراً لأن الديموقراطية أوحرية التعبير عمّت العالم مع استثناءات بسيطة من ضمنها بلداننا العربية التي مازالت لاتعترف بحق المبدع أو الناقد في التعبير عن رأيه وعن الحرية والديموقراطية باعتبارهما ركنان أساسيان في بناء الدولة ونهضة الشعوب.

مما لاشك فيه أن هناك سلطات خفية إضافية تعمل على إقصاء النقد أو الإبداع، فمن منا لا يذكر كيف تمت محاولة اغتيال نجيب محفوظ القامة الإبداعية العالمية، أو كيف تمّ إقصاء نصر حامد أبو زيد من بلاده من قبل المؤسسة التعليمية التي ينتمي إليها، وكيف انسحب المثقفون في سوريا عن عرائض التوقيع للإفراج عن الكتاب والشعراء المعتقلين بدعوى الخيانة والتآمر وغير ذلك، علماً أن هؤلاء الذين أمضوا ردحاً طويلاً من حياتهم في السجون لم يفعلوا شيئاً سوى أنهم اختلفوا مع السلطة بالرأي.

الربيع العربي اليوم، أعاد للعرب وللثقافة العربية الثقة في أن زمن الاستبداد زائل، وأن الثورات العربية ماضية لإرساء قيم الثقافة الحرة التي هي جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع وثقافة الأمة، ويتوجب علينا دائماً أن ننتصر لها لكي تتشكّل مجتمعات الحرية والعدالة على هذه القيم الخالدة.

فرع فلسطين

جهاد ماجد

تجمع المعاناة المباشرة من النظام السوري ثلاثة شعوب في المشرق العربي. الشعب السوري أوّلاً، والشعب الفلسطيني ثانياً، والشعب اللبناني ثالثاً. على أن معاناة الشعب الفلسطيني لها معنى خاص، أو بالأصحّ مدلولات خاصة. ذلك أنه بِاسم قضية هذا الشعب جرى سجن الشعوب الثلاثة.

فقانون الطوارئ ومنع الأحزاب والسطو على الدولة والمجتمع وحماية "الخاصرة الرخوة" والتصدي لمشاريع الاستسلام جميعها تمت إنطلاقاً من مقولة "أولوية القضية الفلسطينية". وحروب مخيّمات لبنان ارتبطت بالأولوية إياها، تماماً كما ارتبطت بها التوقيفات والقهر في مخيّمات سوريا. ويكفي أن يكون واحد من أبشع فروع التعذيب في دمشق مسمّى "فرعَ فلسطين"، ليفهم المرء العلاقة العضوية التي انشأها نظام الأسد بقضية التحرر الفلسطيني، إذ حوّلها الى سجن مادي مظلم من جهة، والى معتقل رمزي قاتم من جهة ثانية. في الأول، يكدّس معارضيه السياسيين، سوريين وفلسطينيين، ويسمُهم بالخيانة ومعارضة قضيته "المركزية" فيعاقبهم بالتعذيب والتحقير. وفي الثاني، يُسدل لغة ومصطلحاتَ على العقول، تلجم باللغو المانع خصومه وتعاملهم بوصفهم "أعداء فلسطين" وأعداء رايتها المعتمَدة علماً للبعث.

هكذا يُنشئ النظام شبكات تدجين واغتيال للحريات وتكريس لطغيان عنوانها "فلسطين"! حتى إذا نهض لتحدّيه أحد، أخرج من دُرج اجتماعاته الأمنية مضبطة الاتّهام الجاهزة، وشهرها ضدّ من "سوّلت له نفسه التآمر على فلسطين" ثم زجّ به في "فرع فلسطين".

وهكذا أيضاً، وضع النظام برنامجاً كاملاً صار هوية لمانعين (ممّا هبّ ودبّ)، يردّدونه عن ظهر قلب، محوره تبرير كل موبقاتهم بحجة فلسطين، وقراءة العالم بأسره (نِفاقاً أو بلاهةً) بوصفه عشّ مكائد ودسائس تستهدفهم لأنهم الناطقون – مثل نظامهم – بِاسم فلسطين.

وقد استمرّ البغي هذا طيلة عقود أربعة، حتى إذا اندلعت الثورة السورية، منشدة الحرية والعدالة، رفع النظام وحلفاؤه المانعون السيف إياه في وجهها، ظانّين أنه رادع. لكنّهم بوغتوا هذه المرة واكتشفوا أن الأوان قد فات، وأن صلاحية السطو والفجور انتهت. ففرع فلسطين لم يعد يرعب كثراً، ومخيمات اللاذقية ودرعا وحمص كما مخيمات دمشق وسائر الحواضر السورية تماهت مع جوارها، وأسقطت بأسابيع معدودة، سنوات من الرياء والوضاعة...

واليوم، ها هي الثورة تصدّع جدران "فرع فلسطين" ذاته. وها هم السوريون (والفلسطينيون) ينتشلون الضوء من بين زنازينه. وغداً حين ينهار، سيمرّ أمامه عشرات الألوف ممّن خلّفوا نتفاً من أعمارهم فيه، وسيبنون على أنقاضه متحفاً لذاكرة جميع من نُهبت سنواتهم وآمالهم، وخُنقت أصوات أمّهاتهم على الأرصفة وخلف مواقف الانتظار الطويل...

حلب ليست كما يصفها الاصدقاء

فداء عيتاني

قبل مئات الامتار من الوصول الى الحاجز الامني جنوب مدينة حلب يطلب احد الركاب في سيارة التكسي النزول جانبا، ينزل على مفترق فرعي ويختفي مع اغراضه بينما تتابع سيارة التكسي طريقها نحو الحاجز، الذي يوقفها ويبدأ في البحث في متاعنا كما كل الحواجز الكثيرة التي مررنا عليها.

الجندي الشاب الذي يقف على الحاجز والذي يبحث في كل الحقائب يسأل السائق عن اي طريق اتيتم من لبنان، فيجيبه عن طريق القصير – الرستن. "القصير؟" يسأل الشاب بابتسامة، "انا من القصير، كيف الاوضاع هناك؟" "عادية، كل شيء بخير" يجيب السائق حول المنطقة التي شاهدنا على طريقها العام ستة دبابات T 55 مدمرة تدميرا كاملا قرب حواجز القوات النظامية والامن، وحيث نمت ذقون المقاتلين والضباط والعناصر المتطوعة، وكفوا عن ارتداء الزي النظام وشارات الرتب، وباتوا يحملون اسلحتهم كل الوقت مثل جنود في درجة استنفار رقم صفر جاهزون لاطلاق النار في اية لحظة.

"عادية، كل شيء بخير" يقول السائق، فيخبره الجندي القصيري "منذ تسعة اشهر لم احصل على اجازة لازور اهلي في القصير".

حلب في منتصف النهار: ازدحام وكثرة بائعين، ومتجولين، سيارات كثيرة تجوب الشوارع، المناطق الفقيرة حية، وتنبض، الخضار على اطراف الشوارع والازقة، بيع وشراء للمواد الغذائية، كل شيء بخير، لقد صدق الذين يخبرونك بان المدينة تعيش حالة طبيعية، الى الان بعض من رجال الامن بثياب مدنية في الشوارع، والعديد من رجال الشرطة بدراجاتهم النارية او سياراتهم، هؤلاء لا يشيرون الى حالة غير طبيعية، بل على العكس، وجودهم دليل انتظام الامور وسير الحياة بشكل طبيعي. ولكن الصورة لن تكتمل في الدقائق الاولى لدخول الشهباء.

سائق التاكسي يصر على تأميني، لا يعرف عن هويتي الا بضعة اكاذيب اطلقتها على الحواجز النظامية لاسهل عبوري الى الشهباء، واي خطأ هنا يعني الموت المباشر، من المعلومات التي جمعتها قبل الانطلاق كان يمكن القول بان لكل حاجز امني سلطة حكم ذاتي، يمكنه ان يتحول الى محكمة ميدانية تقرر خلال ثوان وتنفذ حكمها، والحكم اما اعدام واما تسهيل مرور، وان اي خطأ او معلومة تفيد بان العابر هو صحافي يعني الموت المباشر، ولاحقا يمكن الصاق التهمة بالطرف الاخر.

على الاقل هذا ما جمعته من معلومات، وان كان هدف الزيارة الاول هو تدقيق كل ما سمعناه وشاهدناه من معلومات حول النظام والثورة.

يصر السائق على ايصالي الى فندقي، امتنع واطلب منه ايصالي الى الموقف الرسمي مع الشكر، اقدم له القليل من المال الاضافي حتى لا اثير شكوكه بمبلغ كبير، يبدو الرجل قد استنتج ببساطة انني لست تاجرا ولا اقصد مدينته للتجارة والاعمال، يواصل مساعدتي حين نصل الى الموقف، ارغب بشدة باعتبار ما يقوم به مجرد كرم اخلاق، وينتابني الرعب من ان صاحبي السائق متعاون مع المخابرات السورية، يساعدني في تعبئة رصيد هاتفي السوري مخافة ان اتعرض للخداع، ثم يوصلني الى مقهى ومطعم شعبي تراكمت على طاولاته الاوساخ وبقع القهوة وبقايا الفلافل، يجهد صبي بائع القهوة في تنظيف طاولة، ويصر السائق على دفع ثمن فنجان قهوتي، ثم يتركني بسلام.

اترك المقهى واسير وحقيبتي على ظهري نحو مكان اللقاء باصدقاء من حلب سيستضيفونني ريثما اجد طريقي نحو مناطق الجيش الحر، في الازقة والطرقات حيث تنتشر بسطات الخضار والمحال التجارية الفقيرة يكثر الباعة، والعابرون، ولكن عمليات الشراء نادرة، الصورة اوضح الان مع السير على الاقدام والتلكوء امام المحال التجارية، البائعون يقفون امام محالهم او داخلها ولا عمليات بيع، واصحاب البسطات التي تبيع الخضار والادوات الكهربائية البسيطة والاختراعات الصينية الكمالية، والعاب الاطفال الرخصية، او السكاكين والشوك والملاعق لا تشهد عمليات بيع، بل ملل يدفع بالبائعين الى الثرثرة مع اي كان، او الصراخ لجذب انتباه المارة الى سلعهم.

كثر هم اولئك الذين يسيرون في الحديقة، او يستظلون بظل شجرة وارفة، يبحثون عن نسمة هواء في صيف حار، وسط الظهيرة والشمس الحادة، والرطوبة المنخفضة الى حد خانق، ومن السيارة التي تقلني، يتولى مضيفي شرح الامور، والتجوال الطويل في المناطق قبل الانتقال الى المنزل، حوالي الساعة من التجوال في

الشوارع الحلبية، هنا مقر المخابرات الجوية، وقد سدت منافذه بكتل الاسمنت الضخمة، وتم منع السيارات من العبور، مقر الامن العام كذلك الامر، اغلق امام حركة السير، هنا شارع فرعي ندخله ولكن نكتشف انه اغلق بالكتل الاسمنتية نفسها، "امس مررت من هنا وكان الشارع سالكا، لا اعرف اي مقر رسمي هنا ولا اعرف لماذا اغلق الشارع" يقول مضيفي.

الحياة ليست على ما يرام هنا، المئات من عناصر الامن المسلحين، يقفون امام كل مركز في المدينة، الشوارع الرئيسية والطرق الداخلية في المناطق المتوسطة خالية، شارعين ربما او ثلاثة تعمر بالمقاهي الحديثة، وفيها الشبان والشابات يجلسون داخل المحال المكيفة الهواء، ويحتسون الشاي او القهوة ويبدون ضاحكين. "انتظر حتى الغروب، لن ترى احدا في الشوارع عندها" يعلق مضيفي على مظاهر الحياة الطبيعية.

لم تخل الشوارع بسبب حر الظهيرة، سيارات الامن المنتشرة، عناصر المخابرات في سيارات الشرطة وهم يجلسون في المقاعد الخلفية بينما الشرطي يقف قريبا من سيارته، الطرق المغلقة، العربات المضادة للرصاص امام مقر المحافظ، المواطنون الذين لا يكترثون بنظام السير وبالاشارات الضوئية، ويسيرون في الطرق عكس اتجاه السير، المئات الذين يقفون في طوابير فوضوية امام الافران وينتظرون دورهم في الحصول على ربطة الخبز بالسعر الرسمي، الباعة الواقفون على مبعدة امتار من الافران والذين يبيعون ربطات الخبز بسعر مضاعف، محطات الوقود (الكازيات) التي لا تبيع الوقود من بنزين او مازوت، مئات الشبان المنتشرين في ساحة سعد الله الجابري من الشبيحة، الذين يفترض ان يمنعوا اية تظاهرة من الوصول او الانطلاق من الساحة الاكبر والاهم والاكثر رمزية في المدينة، وهم يخفون اسلحتهم الرشاشة في خيم نصبت في الساحة ورفع عليها العلم السوري او في بسطات وقف قرب كل منها شابين وتحتها اخفيت الاسلحة الرشاشة. كل ذلك يشير الى ان المدينة في حالة حرب سرية.

ليلا ومن منزل على تخوم الشهباء يصدر صوت انفجار يليه اخرين، للحظة الكل اعتبر ان الامر عبارة عن ضرب حاجز، وللوهلة الاولى لم اتوقع تماما ما يحصل، ثم تتكرر اصوات الانفجارات، انها مدفعية الهاوتزر، او الميدان، تطلق قذائفها نحو مواقع الثوار وقراهم، سرية من المدفعية الثقيلة (ثلاثة مدافع) ترمي بتسلسل ثلاث من قذائفها، قبل ان نسمع اصوات انفجارهم في مناطق قريبة، قد تكون الاتارب، او اي موقع اخر محاصر، او قرى ثار اهلها مؤخرا.

انها انفجارات في قلب العاصمة.

انها عمليات نوعية للثوار.

تفجير في مقرات للنظام.

انشقاق جنود ومحاولتهم الفرار واشتباكهم مع اخرين.

وعشرات التفسيرات الاخرى التي صدرت على الانترنت وفي الغرفة حول اصوات القصف التي يسمعها ابناء حلب للمرة الاولى منذ بدء الثورة في 15 اذار من العام 2011. ولم تبد العائلة التي تستضيفني كبير حماسة للتفسير الذي قدمته: مجرد قصف مدفعي من عيار 130 على الارجح يمكنه ان يطال بمدى اقصى 38 كيلومترا، وان القصف يصدر من مكان ما من مدينة حلب بحسب الصوت ولمعة الاضاءة، ويتوجه نحو المناطق الغربية.

كانت تلك الليلة الاولى لابناء الشهباء مع القصف المدفعي الصادر من مدينتهم، والتي اعلن عنها المؤيدين للنظام بصفتها ليلة للتجارب التقنية، وكانت ايضا الليلة الاولى للاتارب مع القذائف المدفعية المنهمرة عليها من مدينة حلب.

ملف العدد

منظمات العمل المدني الجديدة
بديل مرحلة مؤقت
أم مشروع عمل

حكاية المجتمع المدني في سوريا ..... وائل السواح
سوريا بين الثورة والمجتمع المدني ..... د. نائل حريري
رابطة الكتاب السوريين ..... خطيب بدلة
عندما تكتسب المفاهيم قيمة سلعة سريعة العطب ..... عزيز تبسي
منظمات المجتمع المدني في سوريا ..... سعد العثمان
المخيال الطائفي السلفي والدولة المدنية ..... موفق زريق
نحو مجتمع مدني ..... خوشناف حمو
الثقافة الديمقراطية المدنية أساس التطور الخلاق والمبدع ..... نبيل علي صالح

حكاية المجتمع المدني في سورية

وائل السواح

ثمة جدل متواصل بين الحكومة السورية ونقادها حول مسألة المجتمع المدني في سورية. وهو ما يبدو تجليا للخلاف المتأصل بينهما حول فكرة الإصلاح. فالحكومة السورية مغرمة بتفسير الإصلاح على أنه مسار تدريجي من التغييرات الجزئية التي تجعل النظام السوري يبدو نظاما صالحا ومقبولاً، مختزلا بذلك مفهوم الإصلاح من كونه إصلاحا شاملا إلى الإصلاح الاقتصادي، ومن ثم إلى الإصلاح الإداري. وبذلك يتضاءل مفهوم الإصلاح إلى مجرد إصلاحات إدارية تجمل الواقع السوري.

بالمقابل، فإن نقاد الحكومة السورية يرون أن الإصلاح هو كل متكامل جوهره إزالة كل العوائق السياسية والاقتصادية والقانونية والإدارية التي تعيق التطور الطبيعي للبلد. وبالنسبة لهم، فإن ركنا أساسيا من أركان الإصلاح هو المجتمع المدني. بالنسبة للحكومة تحول هذا المطلب إلى خط أحمر.

والمجتمع المدني هو مفهوم جديد بالنسبة للسوريين. وهذا لا يعني بطبيعة الحال أنه لم يكن موجودا كواقع. فثمة من بين المفكرين السوريين يعتقدون أن المجتمع المدني يعود في سورية إلى التشكيلات الأهلية التي عرفتها سورية العثمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ولكن الكثرة الكثيرة تعتقد أن المجتمع المدني وجد كواقع مع النهضة العربية، وما رافقها من تشكيل لمنظمات أهلية ذات طابع سياسي حينا وثقافي واجتماعي في أحايين أخرى.

ولكن عددا من منظري المجتمع المدني في سورية يفترضون أن فترة 45 سنة من حكم بلون سياسي وحزبي وإيديولوجي واحد، ومع غياب أي شكل من أشكال العمل الأهلي الطوعي ومع حظر كلي لأي نشاط سياسي مستقل عن الحكومة، ناهيك عن القمع المستمر الذي فرضه قانون الأحكام العرفية، كان لا بد أن يؤدي إلى حرمان سورية من أي نشاط مدني. والنتيجة كانت أن الحياة العامة (والخاصة) في سورية مرتبطة بشكل كامل بالحكومة، التي كان يهيمن عليها حزب سياسي واحد، ومعتمدة عليها.

نتيجة ذلك أن الحكومة والمعارضة معاً وقعتا في خلط بين المجتمع المدني والفعل السياسي. ومن العدل القول أن فكرة المجتمع المدني، رغم تاريخها الأسبق على مرحلة الستينات، كانت إلى حد ما مشوشة (بالكسر) للكثرة من السوريين، الذين وجدوا أنفسهم، في سعيهم لتحقيق أهداف تتعلق بالمجتمع المدني، منخرطين في الفعل السياسي.

لقد كانت الطريقة الوحيدة، في الفترة التي سبقت عام 2000، لمعارضة الحكومة هي العمل تحت الأرض في مجموعات سياسية سرية صغيرة. ولكن العمل السري كان من شأنه خلق الكثير من المشاكل التي أدت إلى تراجع الحياة السياسية في البلاد وتضاؤلها، وخصوصا بالنسبة للناشطين السياسيين الذين دفعوا حياتهم أو جزءا كبيرا منها ثمنا لنشاطهم السياسي.

عل أنه منذ نهاية التسعينات ومطلع القرن الجديد، وخاصة بعد وفاة رئيس الجمهورية السابق حافظ الأسد، بدأ السوريون يتعرفون إلى شكل جديدا للتعبير عن أنفسهم، وكان ذلك عبر منظمات المجتمع المدني. وقد كانت جماعات المجتمع المدني قد بدأت بنشاط عدد من المثقفين السوريين الشجعان الذين بدؤوا يتلمسون طريقهم للبحث في مسألة جديدة كليا في ذلك الوقت: المجتمع المدني. في عام 1992، قدم المفكر السوري جاد الكريم الجباعي محاضرة بعنوان "المجتمع المدني." كان ذلك عملا رائدا في هذا المجال. في عام 1997، نشرت مجلة الوسط دراسة عن نهوض ظاهرة جديدة في سورية، عمادها مثقفون يسعون إلى خلق شكل جديد من أشكال الائتلاف المدني، وكانت الدراسة مبنية على لقاءات مع مثقفين سوريين بينهم نبيل المالح وعمر أميرلاي، وهما مخرجان سينمائيان وناشطان في المجال العام.

ويبدو أن السينما كان مقدرا لها أن تكون المدخل لحركة المجتمع المدني السوري المعاصرة. في عام 1998، وقع عدد من المثقفين السوريين عريضة إلى رئيس الجمهورية آنذاك حافظ الأسد، يشتكون فيها من تردي الأوضاع داخل المؤسسة العامة للسينما، وهي مؤسسة حكومية تحتكر الإنتاج السينمائي السوري، وأيضا استيراد الأفلام غير السورية وعرضها.

وفي وقت قصير إثر وفاة الرئيس الراحل حافظ الأسد، عبّد تسعة وتسعون مثقفا سوريا الطريق أمام مثقفين وسياسيين آخرين للعمل العلني، من خلال توقيعهم ما سيعرف في التاريخ السوري العاصر باسم "بيان التسعة والتسعين." بعض الموقعين كانوا

ا مفكرين وأكاديميين وكتابا وأساتذة جامعات، ولكن بعضهم الآخر كان من أحزاب سياسية معارضة، وهو ربما ما أعطى البيان الشهير صبغة سياسية أكثر منها مدنية. ومع ذلك فقد كان هذا البيان الشرارة التي أشعلت الحريق.

وسرعان ما بدأت الصالونات والمنتديات الثقافية والسياسية تفتح أبوابها للنقاش العام حول قضايا الحياة المدنية والمجتمع المدني في سورية. ومن بين هذه المنتديات، برزت أسماء "المنتدى الحضاري،" "منتدى الحوار الوطني"، "منتدى الحوار الثقافي"، "منتدى جمال الأتاسي"، على سبيل المثال لا الحصر. وتجمعت مجموعة من النخبة السورية في تشكيل عرف باسم "لجان إحياء المجتمع المدني" وهو تشكيل كان ينطلق من أن سورية عرفت المجتمع المدني الذي تعرض لوات، وهدف الجماعة هو إعادة إحياء هذا المجتمع. وطرحت اللجان نفسها كائتلاف غير سياسي، له هدف ثقافي وحقوقي، بيد أن هذا الاستقلال عن السياسي لم يكن واقعا فعليا، وفق ما يقوله أحد مؤسسي هذه الجماعة الذي يرى أن اللجان كانت تمارس مهام حزب سياسي، أكثر من ممارستها لفعلها كمنظمة من منظمات المجتمع المدني.

على أن السلطة السورية لم تمهل هذه المنظمات غير الحكومية طويلا لتتشكل وتتمأسس، فسرعان ما طال الضغط الحكومي الناشطين الأكثر نفوذا ونشاطا فيما سيعرف لاحقا باسم "ربيع دمشق"، وقد أدى هذا الضغط إلى اعتقال ومحاكمة عشرة ناشطين رئيسيين في حركة المجتمع المدني، بينهما نائبان في البرلمان السوري وأستاذ جامعي معروف. وقد أجبرت المنتديات بعد ذلك على إغلاق أبوابها، كما قمعت الاعتصامات والأشكال الأخرى للتعبيرات المدنية بقوة.

ولم تكتف الحكومة بالضغط على نشطاء المجتمع المدني، بل بدأت بالموازاة مع ذلك ـ عامدة أو مضطرة ـ في استخدام ورقة الدين الخطرة. وقد عزز الإسلاميون (من غير الإسلام السياسي بالطبع) في الأعوام الثلاثة الفائتة مكانتهم في المجتمع السوري. وصار التركيز الإعلامي عليهم يزداد بشكل واضح. وغدا من المعتاد أن ترى رجال الدين والدعاة في مقاعد الضيوف في البرامج الحوارية على شاشة التلفزيون والصحف المحلية. وسمحت الحكومة لبعض الاجتماعات الدينية التي كانت تتم بشكل سري أن تجري بشكل علني في عدد محدد من الجوامع، ومن بين هذه الجماعات جماعة القبيسيات، وهي الجماعة الدينية الإسلامية المعروفة التي تقصر عضويتها على النساء، في تراتبية ملحوظة. وخصصت صحيفة سورية حكومية صفحة دينية أسبوعية، وهو ما كان قبل سنوات يعتبر أمرا محظورا. وبات العثور على الكتب الدينية وأشرطة الكاسيت والأقراص المدمجة التي تحتوي الدروس الإسلامية الأشد محافظة وتشددا من أي مكتبة بل ومن على قارعة الطريق. وفي عام 2003، تم انتخاب أول نائب إسلامي في مجلس الشعب (البرلمان)، ولقي ذلك صدى كبيرا في أوساط شرائح كبيرة من السوريين، مما دفع نحو عشرة رجال دين مسلمين إلى الترشح لدورة 2007، فاز بعضهم وخسر الباقي.

ويسهل على المتأمل الآن أن المجتمع المدني والإصلاح قد وضعا في ثلاجة، وأن للحكومة الآن أولويات أخرى، وناشطو المجتمع المدني في حال من الشلل. وهو ما أدى إلى حال من الاستعصاء، فلا إصلاح حقيقيا بدون مجتمع مدني، ولا مجتمعا مدنيا بدون إصلاح. ويبدو أن على السوريين الانتظار طويلا قبل الخروج من هذا الاستعصاء.

هل كان من الممكن تجاوز حالة الاستعصاء هذه؟ نظريا نعم. يعتقد بعض المثقفين السوريين أن حركة المجتمع المدني التي بدأت ملامحها تظهر في العام 2000 قد أخطأت عندما خلطت بين مهامها كحركة مدنية وبين مهام سياسية كان على عاتق السياسيين والأحزاب السياسية الاضطلاع بها. وأنه كان من واجبها الانتباه أكثر إلى دورها كأداة مجتمعية مهمتها التركيز عل قضايا الثقافة والفكر والتنمية والتدريب والتأهيل والتعبئة وترويج مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان. وتعتقد وجهة النظر هذه أن حظ المجتمع المدني في النمو والبقاء كان أكبر بكثير لو أنه لم يحمل مهام الأحزاب السياسية ولم يطرح برامج سياسية في التصدي للحكومة. ولكن وجهة نظر أخرى ترى أن ذلك حديث نظري، إذ أن حملة المجتمع المدني الحديث في سورية هم السياسيون السابقون والحاليون. وبالنسبة لوجهة النظر هذه، فإن المشكلة أن المجتمع المدني لم يحاول التأسيس لثقافة مجتمعية ومواطنية، لذلك بقيت الحركة محصورة ببضع مئات من المثقفين تراهم أنفسهم في كافة المنتديات والمحاضرات والاعتصامات والبيانات ووسائل الإعلام والمحاكمات والنشاطات الثقافية، وهم أنفسهم الذين يشكلون القوى السياسية المعارضة في البلد. وبالتالي فإنه كان من المستحيل عمليا الفصل بين نشاط المعارضة السياسي ونشاط المجتمع المدني.

ليس الوصول إلى قرار نهائي في هذا السؤال سهلا، ولا هو مهمة هذه المقالة. ولكن مجرد طرح السؤال جدير بالتفكير في إجاباته المتعددة: هل كان من المكمن ألا ينزلق المجتمع المدني السوري باتجاه السياسة؟

سوريا بين الثورة والمجتمع المدني

د.نائل حربري

برغم حداثة عهد مفهوم "المجتمع المدني" لدى السوريين بشكل عام وبرغم أن المصطلح لم يحفر نفسه في أذهان السوريين منذ أمد بعيد، تستعيد التفاصيل التي تكتنف الحراك الثوري السوري اليوم هذا المفهوم بشكل ملح. ينطلق هذا الأمر أساساً من صلة خفية تجمع نقاط التشابه بين الثورة السورية اليوم ضد بشار الأسد (كجزء هام من "الربيع العربي") والحراك الاجتماعي الذي قام في أوائل القرن الحالي بعد تسلم الأسد الابن سلطة الحكم والذي اكتسب – زيادةً في سخرية الأقدار – تسمية "ربيع دمشق". يتعمق هذا الأمر بفعل تفاصيل إضافية، فكتلة "إعلان دمشق" التي كانت الجزء الفاعل في حراك المجتمع المدني آنذاك هي اليوم جزء أساسي في المجلس الوطني السوري المعارض، كما أنّ كثيراً من الشخصيات السياسية والإعلامية انطلقت من هذه المظلة لتكون اليوم متحدثة باسم الحراك السوري. إنما على النقيض من كل ذلك كان تطور الحراك الثوري السوري – بشكل فاعل ومنفعل معاً – مهمشاً لهذا النوع من الحراك اليوم، ولو كان قام بتفعيله وتكريس شروطه والحفاظ على مكتسباته لكان بإمكانه تحقيق أضعاف التأثير الذي حققه حراك المجتمع المدني في الفترة 2001-2004.

أولاً: في تناقضات الثورة مع المجتمع المدني:

يرتبط مفهوم المجتمع المدني NGO's أساساً بالعزلة التامة عن الاصطفاف السياسي، ويرتبط بالقدرة على الإنتاج والعطاء من منظور إنساني بحت. وينطبق هذا التعريف على جميع مؤسسات المجتمع المدني في العالم من الناحية النظرية، بدءاً بأصغر مؤسسة لمحو الأمية في أصغر قرية سورية وانتهاءً بمنظمات عالمية ضخمة كمنظمة اليونيسيف ووكالة الأونروا ومنظمة اليونسكو. ولا يمكن لمؤسسات المجتمع المدني أن تصطف سياسياً إذ تتحول بذلك إما إلى حزب سياسي في حال النشاط السلمي أو ميليشيا مسلحة في حال النشاط المسلح.

كانت الظروف البدئية التي رافقت الثورة السورية حاضنةً مثالية لقيام نشاط فاعل للمجتمع المدني، وتحت مسميات "الحرية، العدالة الاجتماعية، الكرامة الإنسانية" قامت حركات الاحتجاج ضد سياسة الحكم في سوريا. من هنا كان الظرف مواتياً لشعارات تحمل الصيغة العامة إنسانية الطابع الملائمة لطبيعة الحراك المدني: "الله سوريا حرية وبس"، "الشعب السوري ما بينذل"...إلخ. لكن الشعارات سرعان ما تحولت إلى سياسية بحتة، وبذلك اصطفت أغلب التجمعات لتتخذ موقفاً من النظام السوري وتتحول بذلك إلى تجمعات سياسية بدلاً من تجمعات مدنية.

لم يفتح المجال للعمل ضمن هذا الإطار الجامع مدني الطابع لفترة طويلة إذ انتقل العمل من المطالبة بقضايا عادلة ومفاهيم عامة إلى تسييس للقضية بشكل عام. ومن هنا تضاءل دور مؤسسات المُجتمع المدني رسميةً كانت أم غير رسمية لتحل محلها حركات التظاهر والعصيان المدني التي برزت تحت اسم "التنسيقيات" والتي انحصر دورها في تنظيم مظاهرات سياسية المحتوى. وكانت ذروة هذا التضاؤل في الفترة السابقة للاجتياح العسكري للمدن والمناطق السورية، رغم وجود حركات مدنية قليلة العدد كمبادرة "أطباء تحت القسم" التي نادت بفصل العمل الطبي عن التحزبات السياسية، ونادت بحق الطبيب في ممارسة عمله وحق المريض في عناية طبية لائقة أياً كان التوجه السياسي لدى كل منهما.

مع الاجتيّاح العسكري للمدن، بدأ العمل المدني بالتوسع في مجالات الإغاثة والإسعاف والتطبيب، وترافق ذلك مع بوادر مأسسة ما اصطلح على تسميته بالجيش السوري الحر (سواء المدنيين أو العسكريين). إلا أن هذه المؤسسات بقيت متحيزة سياسياً، وينطبق ذلك على الخدمات الصحية بشكل أخص، حيث يلعب التوجه السياسي للمصابين دوراً هاماً في العناية الصحية بهم، كما ثمة شك في وجود عوامل أخرى مؤثرة كذلك.

أيضاً انعدم نشاط المجتمع المدني الثقافي والإعلامي، فتحولت المنابر الإعلامية إلى تجمعات سياسية تخدم هذا الطرف أو ذاك وتركز على طرف دون آخر. فالاحتفاء بالشهيد حكر على الطرف الذي ينتمي إليه، بينما التنكيل به حكر على الطرف المقابل.

ولم يساعد ذلك في نشوء بنى ثقافية وإعلامية ذات طابع أخلاقي مدني يتناسب مع الثورة التي تعتبر نفسها "ثورة لكل السوريين".

ثانياً: في أهمية الحراك المدني:

تنطلق أهمية الحراك المدني من كونه الحاضنة الجامعة لكل الاختلافات السياسية الجزئي منها والكلي. وعادةً ما تكون منظمات من مثل "الصليب الأحمر" و"الهلال الأحمر" عاملاً مشتركاً يساهم في ردم الهوة الإنسانية بين الأطراف المتناحرة. ويمكن لحراك المجتمع المدني أن يظهر من خلال مؤسسات إعلامية تتضمن جميع الأطياف والآراء ضمن منظومة فكرية تعبيرية حرة، أو عبر مؤسسات إغاثية غير متحيزة تختص بالشأن الإنساني لإغاثة جميع المتضررين من جميع الأطراف، أو عبر مؤسسات تسويقية وقانونية واستشارية تعمل على دعم المشاريع والمبادرات المدنية الصغيرة ذات الطابع المدني أياً كان توجهها. وعادةً ما ترجح كفة هذا النوع من العمل في ظل الانقسامات السياسية، ويتعزز رجحانها مع زيادة حدة الانقسامات السياسية وتشعبها (كما يحدث في خلافات المعارضة اليوم) حيث تحافظ هذه المؤسسات على قضية كبرى عامة تتمثل في حقوق المرأة أو حرية التعبير أو الحياد الإعلامي أو حقوق الطفل أو الحق بالرعاية الصحية... وهي قضايا تجمع مؤيدين من جميع الأطراف يتفوقون على مؤيدي كل توجه سياسي على حدة.

ثالثاً: في إمكانية العمل المدني في سوريا:

لا يرتبط العداء الكامن بين النظام والمجتمع المدني بالأحداث التي رافقت الثورة السورية وحسب، بل إن ذلك يمتد عشرات السنين طيلة فترة حكم حزب البعث الذي احتكر أي نشاط سياسي أومدني، ومنع ترخيص أي عمل في سياق النوادي والجمعيات والروابط والمنتديات سواء ارتبطت بتوجه سياسي أم لا، كما قيّد النقابات المهنية في إطاره ليجعل منها رديفاً له ومن ثمّ فروعاً ضمنيّةً للحزب ومقرّات خفيّة لأجهزة الأمن بدءاً من منظمة طلائع البعث واتحاد شبيبة الثورة والاتحاد الوطني لطلبة سوريا وانتهاءً بالنقابات المهنيّة على اختلافها.

من هنا كان العمل المدني يتطلّب السرّية في الداخل السوري، ولا تقتصر السرّية على مجرد الاختفاء تحت شخصية وهمية. لقد كان التخوف الأساسي من الاختراقات الأمنية للتجمعات المدنية والتنسيقيات الثورية (الأمر الذي لا يكاد يخلو تجمّع منه) مما أدّى إلى انعدام الثقة بين أفراد التجمع الواحد، وتقييد إمكانية العمل الجماعي ليتحول الأمر إلى مجموعٍ غير صحيح لمبادراتٍ فردية خجولة مترددة متعثرة.

في المقابل يمتلك الخارج السوري إمكانيات أكبر في التحرك والعمل إعلامياً ومالياً وسياسياً. إنما ينعدم الاهتمام بالتركيز على نشاط المجتمع المدني والاكتفاء بالتحرك السّياسي في إطار التصريحات وإعلان المواقف التي لم تستطع التأثير في محيطها، مما يجعل الخارج السوري عقيماً في تقديم أي دعم فعلي للحراك السوري على أرض الواقع.

رابعاً: في دور المجلس الوطني:

إن الدور الأساسي المنوط بالمجلس الوطني السوري هو دعم الحراك المدني المتفرق والمجزأ في الداخل عبر إنشاء حاضنات ضخمة تستوعب جميع المشاريع المتوافقة في مشروع ضخم موحد. من الأمثلة على ذلك استيعاب جميع المواقع والمنابر الإعلامية ضمن مكان واحد يشكل وكالة أنباء ذات مرجعية واحترافية عالية، أو استيعاب جميع العاملين في الحقل الفكري والنقدي والثقافي لتشكيل تجمع واحد ذي ثقل وأهمية على المستوى السوري، أو استيعاب جميع المشاريع الإغاثية والمالية في مشروع واحد شفاف ذي موثوقية عالية وانتشار عالمي. يساعد ذلك في نقل تفاصيل إدارة العمل من الداخل السوري إلى الخارج حيث يمكن ضمان حرية ومساحة أكبر للعمل بالإضافة إلى إمكانية التواصل السهل والمباشر مع العاملين في الداخل السوري. إن أهمية هذا الدور للمجلس الوطنيّ تنبع من كونه أساساً يتخذ على عاتقه مهمة توحيد الجهود السورية بدلاً من تفرقتها وبعثرتها وضياعها. ويمكن اليوم القول بكل أسف أن المجلس لم يقم بهذا الدور المنوط به وأنه غير مهتم إطلاقاً بالقيام بهذا الدور، ويمكن الاستدلال بتصريح الرئيس السابق للمجلس الوطني (برهان غليون) في أنّ دور المجلس يقتصر في كون: "المجلس الوطني هو وزارة خارجية الثورة".

خاتمة:

يمكن القول بسهولة أن استجابة مدينتي حلب ودمشق للحراك الثوري تتوقف على مدى توسع نشاط المجتمع المدني فيهما، فالحراك المسلح بعيد عن طبيعة الحياة المدنية فيهما والتي تمنع شرائح كبيرة من السوريين من المشاركة في الثورة بفعالية. ويجب

ملف العدد

الأخذ بعين الاعتبار أنّ حراكاً مدنياً يجمع الأطباء في حلب أو المهندسين في دمشق يمكن أن يكون أكثر تأثيراً في هاتين المدينتين من عمليات الجيش الحر في ريف حماه. ولا ترتبط القدرة على التأثير وحدها بتوسع هذا الحراك، بل إن هامش الأمان يزداد بتوسع الحراك كذلك، حيث سيقف النظام عاجزاً ولا شك عن اعتقال عشرات الآلاف من المحامين أو المهندسين أو الأطباء دفعةً واحدة، أو على الأقل سيعجز عن إيجاد الغطاء الإعلامي اللازم للقيام بخطوةٍ كهذه. مما سيزيد من شعبية الحراك المدني في جميع الحالات ويزيد من زخمه وتأثيره.

إن الحراك المدني – على أهميته – لم يحظ بالدعم الكافي لتفعيله، وتقع المسؤولية والأولى والأكبر في ذلك على المجلس الوطني الذي كان يفترض به أن يكون الطرف الأساسي الداعم لتوحيد الجهود المدنية السورية في الداخل والخارج. لكن ما زالت الفرصة ممكنة للانتقال إلى حراكٍ مدني أوسع ذي طابع مؤسساتي ضخم ذي إدارة مركزية تتمثل بالمجلس الوطني نفسه، في خطوةٍ نحو دولة المؤسسات المدنية، ونحو تفعيل ثورة "لكل السوريين"

رابطة الكتاب السوريين.وعلاقتها بالروابط السابقة واتحاد الكتاب العرب

خطيب بدلة

تأسست رابطة الكتاب السوريين (الأولى) عام 1951. وصدر عنها كتاب جماعي بعنوان "درب إلى القمة".. والعنوان مأخوذ عن قصة للأديب مواهب كيالي منشورة في الكتاب ذاته.

كان من مؤسسيها: سعيد حورانية وشوقي بغدادي وحسيب كيالي ومواهب كيالي وفارس زرزور وحنا مينة وعادل أبو شنب ومصطفى الحلاج.. وكانوا جميعاً ينتمون إلى الخط اليساري، بل ويتبنون "الواقعية الاشتراكية" بكل صراحة ووضوح.. مما أثار حفيظة الكتاب المتدينين ضدهم..

وفي سنة 1954 انبثق عنها رابطة الكتاب العرب وعهدت رئاستها إلى الأديب شوقي بغدادي.

وفي سنة 1969 تأسس اتحاد الكتاب العرب بالمرسوم 72.. والطريف في الأمر أن هذا المرسوم قد تضمن في حيثياته العبارة التالية: (بناءً على أحكام القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي رقم 2 تاريخ 25 / 2 / 1966)..

تسلم سليمان الخش رئاسة الاتحاد لفترة محدودة، ثم قفز السيد عقلة عرسان إلى كرسي الرئاسة وبقي متربعاً عليه حتى سنة 2005.. حيث ارتأت القيادة الحكيمة تفريغه لـ (حب الوطن)!.. بعدما تجاوزت سنوات حكمه سنوات حكم حافظ الأسد الذي كان يُفتَرَضُ أن يبقى رئيساً لسورية.. إلى الأبد!

استطاع عرسان، بما يمتلك من دهاء، وخبث، وولاء لنظام الاستبداد وللقيادات الأمنية العليا، أن يحشو الاتحاد بكل شخص يمكن (الاشتباه به على أنه كاتب!)، شريطة أن يكون (هذا المُشْتَبَهُ به) موالياً للسلطة الحاكمة من جهة، وأن يُدلي بصوته في الانتخابات الشكلية التي يجريها الاتحاد كل خمس سنوات للسيد علي عقلة عرسان!

(فكان ينجح بأغلبية أصوات الناخبين من أشباه الكتاب، بناء على توجيهات القيادة..).

وحينما صدر قانون تقاعد الكتاب في سنة 1990، أصبحت الإغراءاتُ المادية أكبر، فسارع أشخاصٌ، واحدُهم ليس من (الطيط) وليس من (الزمّيرة) إلى طباعة كتابين يزيد حجم الواحد منهم عن مئة صفحة، يتضمنان أي كلام، ومن دون تدقيق لغوي وإملائي، ثم التوسط لدى أي ضابط أو عنصر مخابرات، ليتصل هذا الأخير، بعلي عقلة عرسان، أو بعضو المكتب التنفيذي المناضل حسين حموي، أو المناضل الكبير الدكتور عبد الله أبو هيف الذي كان عضواً بارزاً في منظمتي الطلائع والكتاب العرب معاً، ليصبح هذا البني آدم، (الذي هو ليس من الطيط وليس من الزمّيرة) عضواً عاملاً في اتحاد الكتاب، يقطف المزايا التي تستحق للكتاب الحقيقيين كلها، بينما يفطن (ع ع ع) إلى تطبيق النظام والتشدد في تطبيق إذا خطر لكاتب حقيقي الانتساب إلى الاتحاد.

(ملاحظة أولى: لا توجد إحصائية دقيقة لعدد العمداء والعقداء المتقاعدين من الجيش والشرطة الذين نَسَّبَهم (ع ع ع) ومساعدوه إلى اتحاد الكتاب العرب، ولكنهم، في كل الأحوال، لا يقلون عن مئة، وقد لا يزيدون عني مئتين).

(ملاحظة ثانية: إن عضو القيادة القطرية لحزب البعث الخاص بالثقافة والإعلام يحضر مؤتمرات اتحاد الكتاب العرب بوصفه مسؤولاً مباشراً عن الاتحاد، ويجلس هو في الوسط.. ويجلس علي عقلة عرسان، ومن بعده الدكتور المختص بالأدب الحيواني حسين جمعة إلى يمينه.. وأثناء الحوار يلتفت الرفيق القطري ويملي على رئيس الاتحاد بعض الأوامر، همساً، ثم يُستأنف الاجتماع).

بقي اتحاد الكتاب العرب، منذ تأسيسه وحتى هذه اللحظة، مخلصاً لحزب البعث والسلطتين السياسية والأمنية، ولم يسبق له أن دافع عن كاتب (عضو فيه) يعتقل، أو يتعرض لمضايقات في مكان إقامته أو عمله، كما لم يسمح لكاتب مهم من أعضائه (على قلة الكتاب المهمين المنتسبين للاتحاد) بتولي أي منصب في الفروع أو في المكتب التنفيذي للاتحاد إلا فيما ندر..

وفي كل الأحوال، وفي أيام السلم والحرب، كان الاتحاد لا يكتفي بترديد مقولات السلطة، وشعارات السلطة، بل يسبقها إلى صياغة المزيد من الخطابات الطنانة الرنانة التي تخدم هذه السلطة..

ومع بداية الانتفاضة الشعبية السورية في آذار 2011 تبنى الاتحاد رواية الإعلام السوري القائلة بوجود مؤامرة (كونية) على النظام السوري!.. وبأن أفراد الشعب السوري الذين طالبوا بالحرية إنما هم عصابات مأجورة تتلقى المال والسلاح من الخارج..

ملف العدد

ملحق أول: البيان التأسيسي

لرابطة الكتاب السوريين

رابطة ثقافية حرة، عضويتها متاحة لكل الكتاب السوريين من مختلف التيارات الأدبية والفكرية الراغبين في أن يكونوا أعضاء فيها. والرابطة مفتوحة لكتاب عرب (بمن فيهم كتاب عربستان) وغير عرب مساندين للشعب السوري كأعضاء شرف.

الكتابُ الفلسطينيون ممن يقيمون في سوريا يتمتعون بالعضوية الكاملة في الرابطة، وينطبق عليهم ما ينطبق على إخوتهم من الكتاب السوريين

xxx

إن اعتراف الرابطة بالتعددية الثقافية التي ينهض عليها المجتمع السوري يحتم علينا إزالة الأسباب، التي غيبت لأجيال المكونات الثقافية المختلفة، وفتح المجال امام هذه المكونات للتعبير عن ذواتها المبدعة بلغاتها الخاصة، وفي المقدمة منها اللغتان الكردية والآشورية السريانية.

دواعي التأسيس:

بموازاة ثورة شعبنا السوري من أجل الحرية والكرامة والنهوض الوطني، نعتزم، نحن، مثقفون سوريون متنوعو المنابت والمشارب، تأسيس رابطة للكتاب السوريين الأحرار تعبر عن مشاركتنا في الثورة السورية، داخل الوطن وخارجه ، ووقوفنا الى جانب شعبنا الثائر، وعن شعورنا بالحاجة إلى إطار ديمقراطي ومستقل لعموم الكتاب السوريين يعبر عن الواقع الجديد لسوريا التي تولد الآن في شوارع الحرية.

xxx

عبر تأسيس الرابطة اليوم، سنعمل على أن تستعيد الثقافة دورها التغييري والنقدي الريادي والمحرر، ويستعيد المثقفون استقلالهم وقدرتهم على المبادرة والتجديد الفكري والجمالي والأخلاقي، وأن نضع أنفسنا في صف شعبنا للدفاع عن حريات مواطنينا وحقوقهم ووحدتهم.

لقد عملت الثقافة طوال عقود جارية في بلاط النظام، وعمل غير قليل من المثقفين كأبواق وشهود زور.

xxx

نتطلع إلى أن تكون رابطة لكتاب السوريين حاضنا لتفاعل التيارات الأدبية والفكرية المختلفة التي تزخر بها الحياة السورية، وإلى أن تكون إطارا عمليا لنقد وتفكيك ثقافة اللون الواحد التي كرسها استئثار حزب البعث الحاكم بالسلطات المادية والرمزية وسلوكه الشمولي الإقصائي الذي تجسد في "اتحاد الكتاب العرب" على مدار عقود من حكم التعسف الأمني.

xxx

من شأن هذه الرابطة أن تشكل إطاراً حرا ومنصة متقدمة للشعراء والكتاب والمفكرين والأدباء السوريين الأحرار المشاركين في صنع سورية الجديدة، والذين يفتشون عن إطار عملي للتفاعل فيما بينهم، بما يساعد على تسريع عملية الانتقال من نظام الاستبداد والقمع والإقصاء إلى نظام ديمقراطي مدني تعددي حر، أساسه المواطنة، يتيح أوسع الفرص للطاقات الإبداعية، الأدبية والفكرية.

xxx

نتطلع بثقة كبيرة إلى أن تقوم الرابطة الوليدة بتجسير الفجوة المختلقة التي حاول نظام الحزب الواحد أن يقيمها بين أهل القلم، داخل الجغرافيا السورية وخارجها، فالبطش والقمع وتكميم الأفواه طال الجميع دون تفريق. لقد عزلت تلك السياسات المثقفين السوريين بعضهم عن بعض، ولجمت عناصر القوة في الثقافة، وبالتالي شلت المكانة الثقافية والأدبية لسوريا في العالم، ما أدى إلى إضعاف معنى سوريا في أعين السوريين قبل غيرهم، وإفراغها من الفكر المبتكِر الجسور والمخيلة الطليقة والنقد السياسي والاجتماعي الخلاق والروح الحرة المتوثبة

نتطلع، أيضا، إلى المساهمة في إصلاح سلم القيم العام لمصلحة المعرفة والعمل والابتكار، ضدا على سلم القيم الحالي الذي يعلي من السلطة والمال والامتياز.

xxx

وبالتالي فإن الإنجاز المنتظر لهذا الإطار يتمثل في إعادة بناء ما تهدم من الذات الثقافية السورية في إطار حركة الثقافة العربية، وبالتفاعل مع ما أنجزته وتنجزه اليوم الثورات العربية، وما يتيحه مجال عالمي، يزداد تداخلا واتساعا من فرص وما يطرحه من تحديات.

xxx

ملف العدد

وقفت وراء فكرة تأسيس الرابطة مجموعة صغيرة من الكتاب والشعراء السوريين تنادوا إلى هذا العمل من الداخل والخارج، لشعورهم بالحاجة الملحة لقيام إطار يوحد جهود عموم الكتاب السوريين المبذولة لنصرة شعبهم، والعمل على استعادة الدور الطليعي للثقافة والمثقف في حياة المجتمع. قامت المجموعة بالاتصال، في حدود الممكن، بالكتاب السوريين داخل البلاد وخارجها، وعملت، بداية، بطريقة ثنائية ما كفل نجاح الفكرة وانطلاقها بالاقل من المعوقات.

xxx

إن الإعلان عن الرابطة، يفتح الباب أمام جملة من التساؤلات حول صفة هذا الكيان، ودوره وبنيته التنظيمية، لكن الإجابة عن كل هذه المتطلبات وغيرها لن تكون ممكنة من الآن، لأن التركيز خلال المرحلة الراهنة للرابطة وأعضائها سيكون على النشاطات التي تدعم التحول الكبير الذي تشهده بلادنا العزيزة سوريا من الوضع الديكتاتوري إلى الوضع الديمقراطي المنشود. السؤال حقيقة سيكون منصبا على الدور المرحلي الذي يمكن لهذه الرابطة أن تلعبه في دعم هذا التحول وتعميقه، وهو في الأساس دور ضميري وأخلاقي ينتظر من الكاتب أن يلعبه في هذه اللحظة التاريخية من حياة شعبنا وبلادنا.

رابطة الكتاب السوريين

2011 / 12 / 26

ملحق ثان– نتائج الانتخابات

اجتمعت في القاهرة على مدار الأيام الثلاثة 19–18–17 اللجنة المشرفة على انتخابات الأمانة العامة لرابطة الكتاب السوريين المؤلفة من الأساتذة الشاعر بول شاوول (لبنان)، الكاتب القصصي محمود الريماوي (الأردن)، الروائي سعد القرش (مصر)، الشاعر زهير أبو شايب (فلسطين)، الشاعر نوري الجراح (سوريا) وبغياب الشاعر حسن نجمي (المغرب) لاسباب قاهرة.

وقد قامت اللجنة بفتح صندوقي الاقتراع الإلكتروني. الأول المتمثل بموقع الرابطة. والثاني المتمثل بصندوق بريد <vote@syrianswa.com

وبعد ان تأكدت من تطابق النسخ المستخرجة عن أصلها الإلكتروني المرسل مباشرة من المقترعين، وبنتيجة فرز الأصوات وإحصائها، وبعد ان استبعدت اللجنة التكرار وكذلك استبعدت الأصوات التي أدلى بها مصوتون غير مسجلين في الرابطة.

تعلن اللجنة النتائج النهائية التي اسفرت عنها عملية التصويت، وجاءت على النحو التالي:

صادق جلال العظم (99 صوتا)– روزا ياسين حسن (96)– فرج بيرقدار (92)– فواز حداد (92)– رشا عمران (92)– لينا الطيبي (90)– ريم الجباعي (89)– جورج صبرا (89)– حسين العودات (89)–

خطيب بدلة (88)– خلدون الشمعة (82)– عبد الرزاق عيد (79) (منسحب)– حسام الدين محمد (79)– محمد شحرور (78)– إسلام أبو شكير (77) (منسحب)– عبد الناصر العايد (77)– مفيد نجم (74)– حليم يوسف(74)– ابراهيم اليوسف (73)– منذر المصري (71)– فاروق مردم بك (71)– طالب. ك. ابرهيم (71)– ياسر خنجر (68)– بشير البكر (66)– عادل بشتاوي (63)– أحمد الحسيني (62)– عائشة ارناؤوط (62)– فايز سارة (59)– أكرم البني (52)– خليل النعيمي (52)– عمر إدلبي (51)– عماد الدين موسى (45)– عبد الرحمن حلاق (43)– مطاع صفدي (43).

ملف العدد

عندما تكتسب المفاهيم قيمة سلعة سريعة العطب
العجز عن فهم الحركات الثورية الجديدة

عزيز تُبسي

--1

بطبول و صنّوج نحاسية , وبصخب فرق العراضة , استقبلت فكرة المجتمع المدني , قبل تحويلها إلى أيديولوجيا(وعي زائف)في سوريا والبلدان العربية . صيغ المفهوم في مراكز الأبحاث الغربية على عجل في معيانة لتجربة نقابة تضامن البولونية ومبادرتها الاحتجاجية على سياسات التقشف التي صاغتها الحكومة بالتوافق مع صندوق النقد الدولي , وكذلك وفق الحاجات التعبوية للهجوم الإيديولوجي الإمبريالي على التجربة السوفياتية ونتائجها , وقذف به مشفوعاً بأختام مراكز الدراسات العديدة ليملئ فراغاً , قبل وأثناء وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي والمنظومة التابعة له .....في غرور ليكون مفتاحاً لبرنامج تحرري للشعوب المضطهدة.

وساهم عجز اليسار بأدواته التحليلية ووقوعه في أسر أيديولوجيا(وعي زائف) باتت معادية للشعوب واندفاعها الثوري لانتزاع وتثبيت حقوقها في الحرية والعدالة , عن إنتاج مقاربة نظرية للتجربة الفاشلة والوقوف على أسبابها وسيرورتها وأفقها التاريخي , ورصد احتمالات انبثاق للحركات الثورية الجديدة , والتي سيكون من ضروراتها الاصطدام بالشيوعية التقليدية الرجعية , وتقويضها.

عجز مفهوم المجتمع المدني عن إيجاد إطار فكري تفسيري لواقع هذه المجتمعات الانتقالية , واعتمد على أشكال من الانتقائية التعبوية , هي من فضلات الخطط الحربية و زوائدها أكثر من كونه ذا عمق فكري يستدرج العقل إلى التأمل والتجريب والحوار , أنتج مروّجوه حالة من الاضطراب والغموض.

والغموض الذي لم يكن يوماً من سمات الفكر الثوري التحرري , الغموض من مستلزمات الفكر الغيبي والشعوذة والسحر.

نقدت التجربة السوفيتية وتوابعها من خاصرتها الضعيفة(غياب الحريات العامة)ومن خلالها تم العبور إلى الاقتصاد التي يسيطر عليه متحد لبيروقراطية مدنية وعسكرية لصوصية ولا أخلاقية , بعضها(بولونيا) ينفذ بحذاقة الخدم وطواعيتهم , ومنذ زمن قبل سقوطه وصفات المؤسسات المالية الدولية المسيطر عليها إمبريالياً , أنتجت من التكيّف الاقتصادي أساساً متيناً لها. وبعدهما تمت النقلة الثالثة إلى إحياء قضايا الأقليات القومية والدينية(البلقان–القوقاز) , بأنماط تفتقد للمبدئية وتندفع غريزياً بقوة ذرائعية تدميرية , تعي هدفها السياسي وتبصره.

بوضوح : مفهوم المجتمع المدني , مفهوم قلق وغامض , وبتعبير آخر مفهوم إشكالي , لا يفسر شيئاً , ولا يصف شيئاً محدداً , له جذور قديمة في علم الاجتماع الأوروبي ومقارباته الفكرية للسلطة السياسية والدولة والمجتمع , لكنها وبعمومها لا تتحدث عن شيء بعينه , كل فيلسوف ومفكر (من هوبز ولوك إلى ماركس وغرامشي)يتحدث عن مجتمعه المدني.

تذكر النقاشات حول المجتمع المدني في البلدان العربية وأسئلتها باليسار الهيغلي في الجامعات الألمانية في منتصف القرن التاسع عشر , الذي حول الإنجازات الثورية للشعوب الأوروبية إلى مفاهيم مجردة , وقد رد ماركس وإنجلز ذلك إلى ضعف الحركة الديموقراطية الثورية في ألمانيا ولقوة الدولة البوليسية ورجعية سلطتها السياسية.

في مقاربة الدكتور عبد الرزاق عيد وهو من أعيان لجان إحياء المجتمع المدني في سوريا(ويسألونك عن المجتمع المدني) , نلمس هذا الاضطراب والقلق والتخبط , وعجز واضح في السيطرة على المفهوم الزئبقي , والذي انتقل مع الفسحة الحوارية الضيقة التي سمحت بها الطغمة العسكرية إلى عجز حوامله , حيث تبدى فقدان سيطرتهم عليه وتوطينه في الثقافة السياسية وإعادة إنتاجه بما يوافق الحركة الديموقراطية ومشروعها.

وطالما ذكّر الدكتور عيد بعبارة جوزف برودون "خصوبة اللامتوقع "لتتحوّل عنده هروباً إلى الأمام من عجز راسخ يصعب تجاوزه , وضرب من فأل "حسن الطالع" للمستقبل , يتحقق بمجرد الخروج من النفق الكابوسي الأسود , الذي كرسه الاستبداد الطويل.

ملف العدد

سرعة تبني هذا المفهوم دون معاينته باتت في حكم التهور والعبث الفكري.....خصوصاً عند الجماعات ذات الماضي الطويل في التعيش على نفايات الأيديولوجية السوفيتية.

وللحقيقة لم يتبن موضوعة المجتمع المدني في سوريا مفكراً , يعي حدود كلامه ومقارباته التاريخية , تبناه مجموعة من كتاب اليوميات الصحفية , اختار معظمهم فيما مضى الموقع الوظيفي لمندوب الدعاية لسلع الأيديولوجيا السوفيتية في عهدها "البريجينيفي" الأكثر انحطاطا وعديم الإنجازات . وعكست بعمومها حالة التبرم واليأس المتولدة من الأحزاب المحلية التي فاتتها معظم قطارات التغيير والتي توزعت خياراتها ومصالحها على خيارين : لتواطئ المكتمل العناصر مع الطغمة العسكرية , أو التمويت المتواصل في السجون . مما ولد حالة من الفراغ الفكري والسياسي الذي شكل دافعاً لإشغاله من قوى ثورية جديدة , عجزت عن إنتاج أفكارها ومقارباتها الفكرية.

وزاد الأمر إرباكاً حين دخلت الجماعات الإسلامية المنفتحة والمحاورة على خط تبنيه , لتخلطه تارة بالمجتمع الأهلي , وتارة بالاقتصاد المؤسس على الأوقاف الإسلامية والجمعيات الخيرية الإحسانية.

كثيراً ما نشعر بشفقة على هذا المفهوم , الذي لم يختلف مصيره عن مصير الطفل الوحيد في عائلة العميان.

تعبير إحياء الخلافة الإسلامية , الذي أنتجته بعض من التيارات الإسلامية(حزب التحرير الإسلامي على وجه الخصوص)أكثر وضوحاً من تعبير لجان إحياء المجتمع المدني.

ما الذي يراد إحياؤه ؟ المجتمع المدني . لكن ما هو المجتمع المدني , وهل هو ميت ؟؟

يُبدّد المفهوم بين البنية الاجتماعية الرأسمالية بخصائصها الليبرالية النموذجية تارةً وهي عند الكثيرين عودة حلمية طفلية إلى مرحلة 58-54 من تاريخ سوريا , وتارة استرداد النقابات المهيمن عليها بوليسياً , وتارة تفعيل منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان والمواطن , وجمعيات الدفاع عن المعتقلين وضحايا التعذيب , ومنظمات الدفاع عن حقوق المرأة وتمكينها الحقوقي والاجتماعي والسياسي....

بعد مرور عقد من الزمن السوري الطويل , يتوجب وقفة للنقد الذاتي , وإعادة فحص وتعيين للمفهوم , واختبار حدوده , وليس من الخطأ رميه جانباً , من يذكر اليوم الرواج الهائل لروايات كولن ولسن , وألبيرتو مورافيا , بل من يذكر اليوم الكتابات الصقيعية ل أفاناسيف وزرادوف و نيكيتن...التي كانت تحضر الثورات بفعل يشبه تحضير أرواح الموتى عند سحرة الهنود الحمر , عموم تلك الكتابات لم تحقق وظيفياً سوى دور الحطب الرطب لشعوب "قتلها البرد والجوع".

--2

اتركوا الموقد ملتهباً!!

بضرب من تضليل أيديولوجي عملت بعض القوى السياسية على تسويق فكرة البناء الذاتي للمنظمات الديموقراطية , بعيداً عن الحزبية(التي باتت اليوم ملعونة)وهذه تعبير عن نقلات نوعية في العمل الديموقراطي بأن تتمكن مجموعات من الشبان/الشابات من وعي اللحظة التاريخية والعمل على تفعيلها بمبادرات ذاتية , أمر يعكس تقدم الوعي وتوسعه وعناق مع تاريخيته , لكن أن تكون القضية مفتعلة من أصولها لتحقيق غايات دعائية للحصول على غنائم المنح المالية والبعثات التدريبية والدعوات لحضور مؤتمرات , فهذا من التزييف والانحطاط , وما فرضُ السرية والكتمان على هذه الحالات إلا لعكس هذه المخاوف , مثلاً معظم التعبيرات التنظيمية عن الانتفاضة الشعبية الثورية أنتجتها بعض من أحزاب تقليدية مناضلة , وبعض من انشقاقات من أحزاب أخرى.

حسناً , لماذا التستر على تلك العلاقة , وهي علاقة شرعية ومشروعة ؟ ألا تحتاج الجماعات الجديدة التزود من خبرات وعلاقات وثقافة الجماعات التي سبقتها , ألم يعلم بعد أن الفعل الثوري هو فعل تراكمي , وليس ولادة من عدم . معظم التشكيلات الجديدة يقف أمامها وخلفها ومعها قيادات وكادرات من الأحزاب التقليدية , بوعي نقدي لتجاربها الآفلة : لجان التنسيق المحلية / اتحاد تنسيقيات الثورة السورية/شباب17 نيسان/الهيئة العامة للثورة السورية/المجلس الأعلى لقيادة الثورة.....

وماذا بعد-ننتج الزبدة؟

ليس ماءً , إنه الحليب المشبع بروح الأعشاب ونسغها مايمور منذ عام ونصف في حوجلة الانتفاضة الشعبية الثورية . مر المجتمع السوري منذ ما قبل الانتفاضة الشعبية الثورية , بحالة من الاصطفافات الجديدة وإعادة تشكيل بطيء للمقاربات الفكرية , التي حملت الكثير من إعادة معاينة اليقينيات وامتحانها والمراجعات العميقة والسطحية للتاريخ القريب والبعيد والتشكيلات

ملف العدد

الاجتماعية ودورها التاريخي , ساهمت انطلاقة الإنتفاضة18آذار2011 بتسريع حسم للعديد من المقاربات الفقيرة وإنتاج الجديد من الخيارات الثورية وبلورتها , وطرح جانباً الكثير من ماضي المقاربات الفكرية والسياسية التي استهلكت أوقاتاً طويلة من النقاشات والجدالات العقيمة , من مثل المطولات في الإصلاح السياسي التي كانت تتوخاها عموم التشكيلات السياسية قبل وبعدحزيران2000 من السلطة "الجديدة" . لكن , وبعد شهر على انطلاقة الانتفاضة حسم خيار الإصلاح السياسي وتبينت حدوده التضليلية , والذي استغرق الحركة الديموقراطية لثلاث عقود خلت , نار الانتفاضة أتت على يابس الفكر السياسي المحلي ويستمر لهيبها.....

منظماتُ المجتمع المدنيّ في سوريّة

سعد العثمان

يشير مصطلح المجتمع المدني إلى كلّ أنواع الأنشطة التّطوعيّة التي تنظمها الجماعة، حول مصالح، وقيم، وأهداف مشتركة. وتشمل هذه الأنشطة المتنوّعة، الغاية التي ينخرط فيها المجتمع المدنيّ، تقديم الخدمات، أو دعم التّعليم المستقل، أو التّأثير على السّياسات العامّة.

ففي إطار هذا النّشاط الأخير مثلاً، يجوز أن يجتمع مواطنون خارج دائرة العمل الحكوميّ؛ لنشر المعلومات حول السّياسات، أو ممارسة الضّغوط بشأنها، أو تعزيزها "معاقبة صانعي السّياسات أو مكافأتهم".

ويضم المجتمع المدنيّ مجموعة واسعة النّطاق من المنظمات غير الحكوميّة، والمنظمات غير الربحيّة التي لها وجودٌ في الحياة العامّة، وتنهض بعبء التّعبير عن اهتمامات وقيم أعضائها، أو الآخرين، استناداً إلى اعتبارات أخلاقيّة، أو ثقافيّة، أو سياسيّة، أو علميّة، أو دينيّة، أو خيريّة. ويطلق على هذه المنظمات مصطلح: "منظمات المجتمع المدنيّ".

وهناك اجتهادات متنوّعة في تعريف مفهوم المجتمع المدنيّ، تعبّر عن تطوّر المفهوم، والجدل حول طبيعته، وأشكاله، وأدواره. فالمعنى الشاع للمفهوم هو "المجتمع السّياسي" الذي يحكمه القانون تحت سلطة الدّولة. لكن المعنى الأكثر شيوعاً هو تمييز المجتمع المدنيّ عن الدّولة، بوصفه مجالاً لعمل الجمعيّات التّطوعيّة، والاتحادات مثل: النّوادي الرّياضيّة، وجمعيّات رجال الأعمال، وجمعيّات حقوق الإنسان، وجماعات الرّفق بالحيوان، واتحّادات العمال وغيرها. أي أنّ المجتمع المدنيّ يتكوّن ممّا أطلق عليه إدموند بيرك الأسرة الكبيرة.

في المقام الأول يهتمّ المرء بسبل عمله ومعيشته، ليكفي حاجته، وحاجة أفراد أسرته بالغذاء والسّكن وغير ذلك من لوازم الحياة. ولكن يوجد بجانب ذلك أشخاص كثيرون يهتمّون بالمجتمع الذي يعيشون فيه، ويكونون على استعداد للتّطوع وإفادة الآخرين. أي أنّ المجتمع المدنيّ ينمو بمقدار استعداد أفراده على العطاء بدون مقابل لإفادة الجماعة. هذا يعتبر من "الإيثار العام". وفي المجتمعات الديموقراطيّة تشجّع الحكوماتُ على ذلك النّشاط.

شهدت سنوات العقد المنصرم، توسّعاً مذهلاً في حجم ونطاق وقدرات المجتمع المدنيّ، في جميع أنحاء العالم، مدعوماً بعمليّة العولمة، واتساع نطاق نظم الحكم الديمقراطيّة، والاتّصالات السلكيّة واللاسلكيّة، والتّكامل الاقتصاديّ.

ووفقاً لحوليّة المنظمات الدّولية، فقد زاد عدد المنظمات غير الحكوميّة الدّولية من 6000 عام 1990م إلى ما يزيد على 50 ألفاً عام 2006م. وأصبح لمنظمات المجتمع المدنيّ دور بارز في تقديم المساعدات الإنمائيّة على مستوى العالم؛ حيث يشير تقرير منظمة التّعاون والتّنمية في الميدان الاقتصاديّ إلى أنّ هذه المنظمات قدّمت مساعدات تقدّر بحوالي: 15 مليار دولار أمريكي، من المساعدات الدّولية حتّى عام 2006م. كما أصبحت منظمات المجتمع المدنيّ أيضاً جهات مهمّة لتقديم الخدمات الاجتماعيّة، وتنفيذ برامج التنمية الأخرى، كمكمّل للعمل الحكوميّ، لا سيّما في المناطق التي يضعف فيها التّواجد الحكوميّ، كما في أوضاع ما بعد انتهاء الصّراعات. ولعلّ أحدث وأبرز مثال على مشاركة منظمات المجتمع المدنيّ في إغاثة ما بعد الكوارث، جاءنا من آسيا أثناء عمليّة الإعمار فيما بعد تسونامي بعد عام 2006م.

كما اتّضح تأثير منظمات المجتمع المدنيّ في تشكيل السّياسات العامّة على مستوى العالم خلال العقدين الماضيين. ويبدو هذا النّشاط جلياً، من خلال الحملات الدّعائيّة النّاجحة التي تدور حول قضايا بعينها، مثل: حظر زراعة الألغام الأرضيّة، وإلغاء الدّيون، وحماية البيئة، والتي نجحت في حشد آلاف المساندين في شتّى أنحاء المعمورة. وثمّة مظهر حديث من مظاهر حيويّة المجتمع المدنيّ العالميّ، هو المنتدى الاجتماعيّ العالميّ، الذي يعقد سنوياً منذ عام 2001م، في قارات مختلفة، وشهده عشرات الآلاف من ناشطي منظمات المجتمع المدنيّ، لمناقشة قضايا التّنمية العالميّة. ويعدّ النّداء العالميّ لمكافحة الفقر، وهو حملة دوليّة للمجتمع المدنيّ تدعو إلى الإعفاء من الدّيون، وزيادة المعونات للبلدان الفقيرة، مثالاً آخر على حيويّة المجتمع المدنيّ وأهميّته. وتشير تقديرات إلى أنّ هذه الحملة حشدت في عام 2008م أكثر من 116 مليون مواطن، للمشاركة في أحداث وأنشطة الوقفة،

ملف العدد

احتجاجاً على الفقر، والتي نُظّمت في مختلف مدن العالم.
إنّ قطاع المجتمع المدنيّ لا يبرز فقط كجهة فاعلة واضحة على المستوى المجتمعي في أجزاء كثيرة من العالم، لكنّه يتّسم كذلك بتنوّع ثريّ في طبيعته وتركيبته. ولهذا السّبب، تتفاوت تعريفات المجتمع المدنيّ بدرجة كبيرة، استناداً إلى اختلاف النّماذج التّصوريّة، والأصول التّاريخيّة، والسّياق القطريّ العام.
أرأيتم – يا سادة – أنّ نظام عائلة الأسد في سوريّة، وغيره من الأنظمة الاستبداديّة القمعيّة الدّمويّة، لا يعرفون ولا يعترفون بمنظمات المجتمع المدنيّ، وأيّ منظمة مجتمع مدنيّ ترفع رأسها، أو تقدّم أوراقها للاعتراف بها، تتّهم بأنّ لها تواصل واتّصال مع الأجنبيّ: الأمريكيّ والإسرائيليّ، ثمّ يتابع أفراد هذه المنظمة النّاشئة، ويحقّق معهم، والتّهم جاهزة، والمحضر معد مسبقاً، حتّى الحكم جاهز، وهو السجن لمدد حسب مزاج ضابط المخابرات ورغبته.
يقول الكاتب السّوري: حسين العودات: يمتنع النّظام السّياسيّ السّوريّ عن إعطاء الرّخص إلى منظمات المجتمع المدنيّ، والجمعيّات الأهليّة منذ أربعين عاماً، باستثناء تلك التي تتعلّق بجمعيّات خيريّة محضة. وفي الأحوال كافّة، لا يسمح هذا النّظام بتأسيس جمعيّة أهليّة، أو منظمة مجتمع مدنيّ، مهما كانت أهدافها وبرامجها، بما في ذلك الأهداف الثّقافيّة أو التّعاونيّة أو غيرها، إلا بموافقة مسبّقة من السّلطات الأمنيّة. لذلك، لم يتجاوز عدد الجمعيّات الأهليّة في سوريّة بكاملها خمسمائة جمعيّة معظمها خيريّة. أمّا المنظمات ذات الطّابع الثّقافي، أو الاجتماعي، فلا تمنح رخصة عمل إلا في حالات استثنائيّة نادرة.
واستمرّ الأمر على هذا النّحو حتّى عام 2000م حين تسلّم بشّار الأسد السّلطة، وتحدّث في خطاب القسم عن التّعدّديّة، والرّأي الآخر، وتنشيط المجتمع. فبدا هذا التّغيير وكأنّه فرصة نادرة، شجّعت على قيام منظمات، وجمعيّات للمجتمع المدنيّ في سوريّة. فتكاثرت هذه الأخيرة بشكل لم تشهده البلاد من قبل، حتّى أنّها لم تنتظر موافقات الجهات ذات الصّلة للسماح لها بالعمل رسمياً، وإعطائها الرّخص.
أحدثت هذه المنظّمات، والجمعيّات، والمنتديات، حركة اجتماعيّة حقيقيّة في سوريّة، وبدا وكأنّ المجتمع استعاد أنفاسه مع هذه المنظّمات، والجمعيّات غير الحكوميّة، التي نشطت للمرّة الأولى منذ أربعة عقود. إلا أنّ هذا ما سبّب الخشية لدى السّلطة السّياسيّة، حيث أنّها لم تعتد على أن يبادر المجتمع، ويقيم منظماته التي تتولى تنشيط حركته، ومشاركته في الحياة العامّة. فعمدت هذه السّلطة على إغلاق المنتديات، ورفضت الطّلبات المقدّمة إلى وزارة الشّؤون الاجتماعيّة كلّها، والتي كانت تنتظر ترخيص اللّجان والمنظّمات، وحاولت خنق هذه النّشاطات كلّها، إلا أنّ النّشطاء في هذا المجال، حاولوا إيجاد بديل، فقاموا بتأسيس لجان إحياء المجتمع المدنيّ، وحدّدوا مهمّتها، بتنشيط اهتمام المجتمع بقضاياه الاجتماعيّة، والثّقافيّة، والمطلبيّة، والأهليّة، وغيرها. وما زالت السّلطة السّياسيّة تنظر إلى هذه الجمعيّات نظرة ريبة، وتعتبرها جزءاً من المعارضة السّياسيّة، وتتعامل معها كما تتعامل مع الأحزاب غير المرخّص لها، وترى أنّ نشاطاتها ذات أهداف سياسيّة، بما في ذلك نشاطاتها الاجتماعيّة والثّقافيّة. وقد اعتقلت السلطات أخيراً أعضاء مجلس إدارة منتدى الأتاسي للحوار الدّيموقراطيّ، وعلّقت أعمال المنتدى. غير أنّ النّاشطين في هذه اللّجان والمنظّمات، ما زالوا يسعون إلى توسيع عملهم ونشاطهم، وتأسيس لجان جديدة، رغم الصّعوبات التي يواجهونها من ملاحقة السّلطة لهم، وخوف أبناء المجتمع من الانخراط في نشاطاتهم.
هذا، وقد عملت المعارضة السّورية في الخارج، وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، وحزب الوسط السّوري، على تنمية وتنشيط منظّمات المجتمع المدنيّ، وشكّلت عدّة روابط كرابطة أدباء الشّام، ورابطة العلماء، ورابطة الأكاديميين السّوريين، ورابطة كتّاب الثّورة السّوريّة، وروابط ومنظّمات أخرى، وهذا إن دلّ على شيء، فإنّه يدلّ على رقيّ وتطوّر الشّعب السّوريّ، وتطلّعه إلى إنشاء دولة مدنيّة تعدّديّة شوريّة، ومن المعلوم أنّ سوريّة هي أوّل دولة عربيّة شكّلت برلمان، بعد استقلالها.

المخيال الطائفي السلفي والدولة المدنية

موفق زريق

المخيال الطائفي السلفي والدولة المدنية

ما أقصده (بالمخيال الطائفي) تلك التصورات والشحنات الذهنية الثقافية السلبية المتبادلة بين الطوائف الدينية أوالمذهبيه والتي ليس لها أساس من الواقع الفعلي , ومع ذلك فهي لها من القوه والحضور في المخيال والسلوك الجمعي بما يفوق قوة الصخر في الطبيعة , لأنها ناشئة (تلك التصورات) من تراكم صراع ديني سياسي تاريخي تمتد جذوره إلى مئات السنين , منذ صدر الإسلام الأول, تم خلاله عمليات تشويه وتسويد كل طرف لصورة الطرف الآخر بهدف انجاز أقصى تعبئة ممكنه للقضاء على الآخر, كما يجري في كل صراع وجودي يستهدف فيه كل طرف إلغاء الآخر تماماً . ولابد أن نشير هنا أن هذه الصراعات الوجودية الطائفية كانت تجري في فضاء ثقافي ديني , وبالتالي تمسي هذه التصورات والأوهام جزءاً من دين ومذهب كل طرف في هذا الصراع الذي هو في جوهره .. صراع سياسي .. يتوسل الدين في تحقيق أهداف السياسة , وهنا تكمن صعوبة المشكلة (المأساة) التي تواجهنا ونحن نتقدم لبناء دولتنا الحديثة , لأن تغيير المفاهيم والتصورات والخيالات ذات المنشأ الديني / المذهبي / الطائفي / التاريخي الموروث والمكتوب من أصعب المهام واعقدها وأطولها زمناً ,لما لها من جذور نفسيه واجتماعية ضاربه في العمق, وهذا بالنسبة للمتخيل أو الوهمي .. فما بالك بما هو حقيقي وسائد من معتقدات ومفاهيم مذهبيه وطائفيه الدين منها براء .

أوهام متبادله :

ليست المشكلة في مجتمعنا وفي كل المجتمعات تكمن في وجود الطوائف والمذاهب , وإنما المشكلة تكمن في سيادة التفكير والتصنيف الطائفي لأفراد المجتمع ...وفي تشكيل المواقف والاصطفافات على أساس ديني طائفي ... وفي سيطرة مفهوم نحن على حق والآخرون على باطل . والذي يؤسس لثقافة إقصاء وإلغاء الآخر ونشوء الانقسامات الشاقولية في المجتمع التي تهدد وجوده ووحدة كيانه . وذلك بديلاً عن الانقسامات الأفقية التي تشكل دينامو تطوره ونموه .

إن مجتمعنا العربي مازال في بنيته وثقافته السائدة يعيش عصوره القديمة أو الوسطى .. وإن الجهود النهضوية التحديثية التي قام بها رواد النهضة والحداثة لم تحقق من وجهة نظرنا إلا النذر اليسير من تحديث الفكر والثقافة والسياسة حتى على مستوى النخبة .(وهذا الأمر يحتاج إلى حديث آخر ليس هنا مجاله)

إن عملية بناء دولة حديثة وديمقراطية تقوم على سيادة القانون والمواطنة وحقوق الإنسان في إطار مجتمع تسيطر علية هكذا ثقافة تبدو من وجهة نظري .. عملية صعبة وشاقه جداً بل قد تبدو مستحيلة وتشبه إلى حد ما محاولة فرش بيت متهالك – يعشش فيه العنكبوت وتصفر فيه الريح وينخر فيه السوس –.. بأحدث وأرقى المفروشات والأجهزة الحديثة . أو كما يقول الأدب ا لماركسي تركيب بنية فوقية حديثه على بنية تحتية مجتمعيه قديمة ومتهالكة تحكمها الانقسامات الطائفية والقبلية .

إن تجربتنا على مدى عقود علمتنا إن الشعارات الايدلوجية .. والمبادئ الوطنية الحديثة وادعاءات اللاطائفية .. والحديث الذي لاينفك عن المواطنة .. وحقوق الإنسان .. لم تغير شيئاً حتى على مستوى النخبة فما بالك بالمجتمع نفسه ..فحتى الأحزاب الوطنية والقومية انقسمت على أساس المخيال الطائفي .. وايضا الأحزاب اليسارية الطبقاوية ... والمؤسسات والوزارات والمدارس ...الخ ..

القاضي الطائفي لن يطبق القانون بشكل متساو...؟

والمدرس الطائفي لن يقدم الدين بمفهومة الإنساني...؟

والوزير الطائفي لن يعين الموظفين على أساس الكفاءة... ؟

وقس على ذلك حتى نصل إلى أبسط وحدات المجتمع .. والإناء ينضح بما فيه .. وليس بما يجب أن يكون ؟ وعلى صعيد المجتمع مازال أغلب أهل السنة ينظرون للشيعة أنهم أخطر على الإسلام من إسرائيل .. وأن لديهم (أي الشيعة) قرآن آخر غير القرآن المعروف (مصحف فاطمة) وأنهم أهل تقية يبطنون الشر للسنة .. وأن الذي أسس التشيع هو عبالله بن سبأ (اليهودي) . وإن

ملف العدد

المسيحيين في مصر كفرة ويخططون لإخراج المسلمين من مصر إلى حيث جاؤوا (الجزيرة العربية) .
وبالمقابل فالخيالات نفسها لدى الطوائف الأخرى فالسنة عند الشيعة نواصب ويخططون لتدمير الشيعة , وأنهم امتداد للمؤامرة على أهل البيت وأنهم حرفوا الإسلام ودمروه من الداخل , وزيفوا الأحاديث عن رسول الله ووضعوها .....سلسلة من الخيالات والأوهام التي ليس لها أساس من الواقع .
وإذا أضفنا لتلك الأوهام والخيالات الخلافات المذهبية الحقيقية والقائمة فعلاً في وعي وإدراك و سلوك نخب وأتباع الطوائف جميعاً ... والتي ترتقي إلى مستوى الدين رغم منشأها السياسي التاريخي فإننا نكون أمام مشكله وعبىء ثقافي ديني تاريخي هائل يمكن أن يخرب ويفشل كل مشاريعنا في التحديث وبناء الدولة المدنية الديمقراطية القائمة على أساس المواطنة وسيادة القانون وحتى لو افترضنا أحسن النوايا .
إن عملية الانتقال من التفكير والنظرة والتصنيف الطائفي المحمل بشحنات سلبية عدائية اقصائية إلى التفكير والتصنيف الإنساني القائم على المواطنة والجدارة والكفاءة تحتاج إلى جهود وبرامج وخطط
ثقافية نقدية وتنويرية بل ثورية تحرر الإنسان العربي عموماً من هذا العبىء الثقافي التاريخي المتخلف والموهوم , وان دبج الدساتير والأنظمة والقوانين والصراخ بالشعارات والمبادئ التي تلعن الطائفية وأوهامها وخيالاتها وتدعو للحداثة والحرية والإنسانية لن تجدينا نفعاً وقد أنفقنا قرابة المائتي عام في ذلك بدون طائل منذ أيام الطهطاوي وعبده وحتى الآن ؟!!!
إن الاعتراف بهذه المشكلة وفحصها ونقدها تحت الشمس هو المدخل الأول لحلها لا الالتفاف عليها ولعنها وشتمها لأهداف سياسية مؤقتة وطارئة كما كان ويجري عبر عقود من السنين ولذلك انفجر التطرف والإرهاب الطائفي الديني في وجهنا وكلفنا أنها رمن الدماء .(لبنان , الجزائر , العراق , السودان , سوريا .)كما انفجرت في وجهنا مفاجأة الانتشار الواسع للسلفية المتطرفة في كل أرجاء الوطن العربي
(كما نرى في مصر حالياً وغيرها) .
إن هذه الظواهر ليست من صنع الخارج بل هي تعبير طبيعي لثقافة تاريخية قديمة مازالت تعشش في كهوف ووهاد تخلفنا وانحطاطنا .
إن هذه الثقافة وقواها مازالت تتحدث عن دار كفر وإيمان وعن الفتح والغزو بقوة السلاح .. وتطبيق الشريعة حتى على أهل الأديان الآخرين .. وعن الجزية .. وعن ما ملكت أيمانهم .. وعن تصفية الشيعه (الرافضة) ... وعن حرمة الموسيقى والغناء .. وعن حرمة النحت والتمثيل .. وعن حل مشكلة الفقر بالصبر والزكاة ... وعن فرض النقاب ... إلخ .
إن التحديث والحداثة ليس استيراداً لمنظومات فكرية وتقنيات.. بل هو نقد للذات وإعادة بناء.. فحكامنا مازالوا سلاطين باسم رؤساء .. والتنظيمات السياسية (ا لحديثة) عائلات أو طوائف باسم أحزاب.. أو أقليات باسم اليسار .. سواء كانوا في السلطة أو في المعارضات .؟؟؟
إن الحداثة والدولة المدنية الحديثة في منشأها الأصلي ارتبطت ارتباطا وثيقاً بمسارالتنوير الثوره العلمية أولاً .. والثورة الصناعية ثانياً .. والحراك الاجتماعي الطبقي الناشئ عنهما ثالثاً .. بحيث قوضت هذه المسارات مجتمعة منظومة الثقافة القديمة وقواها وطوائفها وطبقاتها الاجتماعية السائدة باتجاه منظومة جديدة وحديثة أكثر عقلانية وأكثر تنظيم وأكثر إنسانية .. ومن ثم أكثر حرية وديمقراطية .. إن الحداثة والديمقراطية والمواطنة ليست مجرد رغبة فكريه أو إرادة سياسية بل هي بنى وقوى وثقافة ارتبطت بالمنهجيه العلميه والتنويروالصناعة والتنظيم الاجتماعي اللصيق بهما . ان مجتمعاتنا لم تنجز بعد مقتضيات الثورة الصناعية والزراعية الذي أنجزته المجتمعات المتقدمة منذ مائتي عام (القرن الثامن عشر والتاسع عشر) .
إن الحداثة في الدولة وفي السياسة لن تكون إلا انعكاس وتعبير لدرجة تحققها في المجتمع وقواه وثقافته ونخبه .. وبتعبير أدق فهي انعكاس ومحصلة للصراع الجاري الآن على ارض الواقع العربي بين قوى الماضي / الموروثة / السلفية / الطائفية / القبلية... وقوى المستقبل الجديدة / الحديثة / العقلانية / الديمقراطية ...وهذا الصراع محتدما الآن ... وفي أعلى أشكاله وتعبيراته على مستوى الفرد نفسه .. والأسرة .. والعائلة.. والمؤسسة. .. والطائفة .. والطبقه .. والحزب..والسلطه..إلخ .
ومن واقع النتائج الفعليه على الأرض فما زالت برأي قوى الماضي / القديمة أقوى وأكثر حضورا وفعالية .. ومازالت تقاوم بشراسة.. ففي مصر انتصر المجتمع للتقليد والسلفية (الإخوان والسلفيين) وفي تونس أيضاً وكذلك الأمر سيكون في ليبيا واليمن و سوريا...

ملف العدد

الثورة اطلقتها قوى شبابية عقلانية حديثة اكثر تحررا من موروثها القديم ولكن المجتمع عبر صناديق الاقتراع انتصر للنخب التقليدية الطائفيه السلفية القديمة .

إن سقوط نظم الاستبداد والشمولية ليس نهاية المشوار بل بدايته.. لأن الاستبداد كان معطلاً لفعالية الصراع الاجتماعي بين القديم والحديث.. بين التقليدي والجديد ..بين قوى الماضي وقوى المستقبل

أما الآن فإن سقوط الاستبداد هو مجرد فتح للباب على مصراعيه لإطلاق صراع جديد وطويل مع قوى الماضي من أجل المستقبل الجديد ..من أجل الدولة المدنية الحديثة ... دولة الإنسان الحر المواطن .

لقد آن ألآوان لجهد نقدي جريء خلاق يحرر انساننا من ثقافة الاوهام

لقد آن ألأوان لجهد نقدي ثوري خلاق يحرر انساننا من طائفيه.. الدين منها براء

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

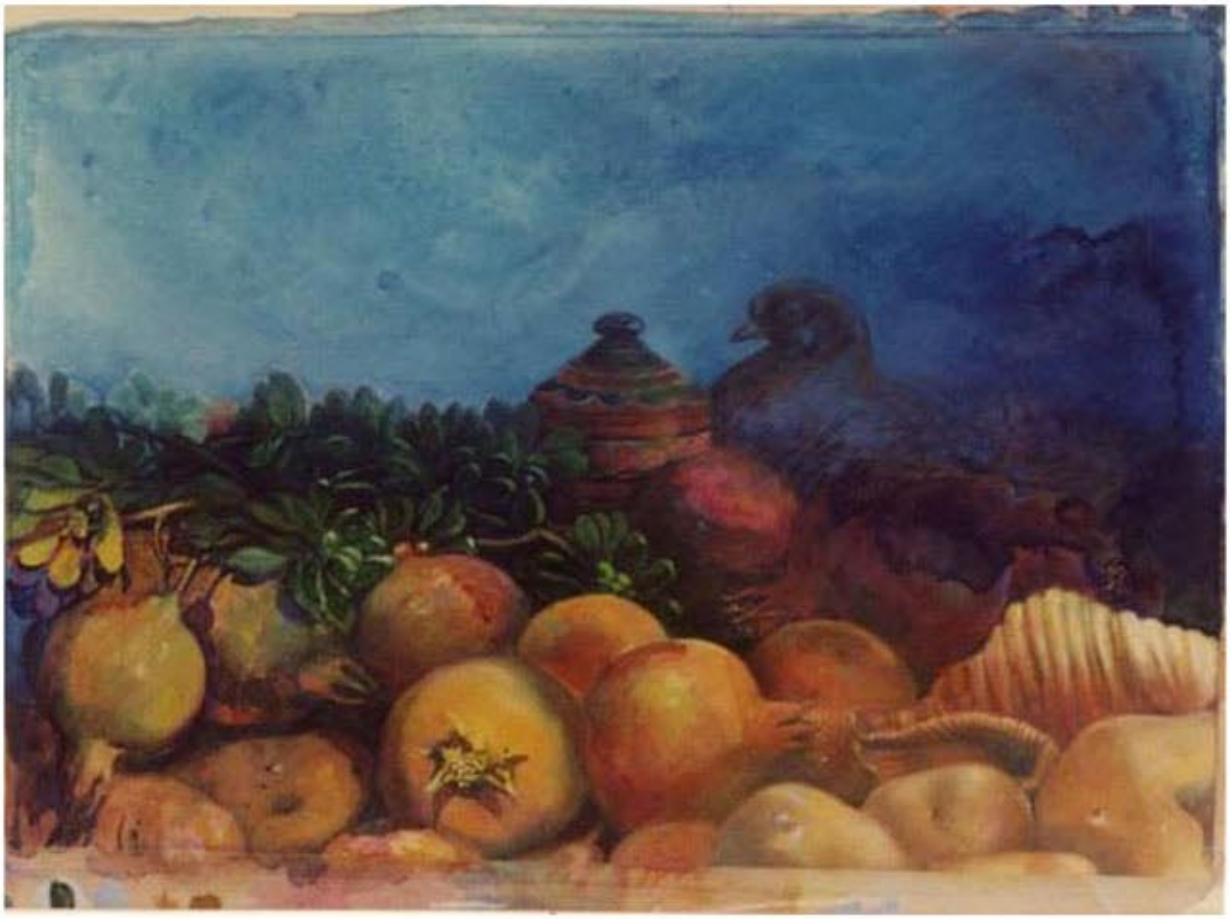

نحو مجتمع مدني

خوشناف حمو

توصيف المرحلة....

تشهد سورية اليوم انتفاضة شعبية واسعة قوامها فئات الشعب كافة وطلائعها البدائل الاجتماعية الشابة التي تذكر بحركات الشباب المشهودة في ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم في القارة الأوربية .وتهدف هذه الاحتجاجات إلى الانتقال بالبلاد بطريقة سلمية وآمنة ، من وضعية الاستبداد إلى وضعية الحرية والديمقراطية . وتتطلع إلى نظام سياسي ديمقراطي يؤسس لدولة مدنية تعددية ، تحقق العدالة والمساواة لجميع السوريين عربا وأكرادا وأقليات أخرى ، دون تمييز بينهم على أساس العرق أوالدين أو الجنس أو اللون .

إن الحلول الأمنية التي اتبعها النظام وما زال يتبعها ، لا تزيد الأمور إلا تعقيدا ، وتقود البلاد إلى أوضاع خطيرة ، قد تؤدي إلى انهيار عقد الدولة وانفراط المجتمع برمته.

لقد تطورت الأوضاع إلى مستوى أزمة حقيقية وساد شقاق واضح بين الفرد والدولة ، الأمر الذي يفتح الأبواب على احتمالات متعددة بالغة الخطورة ، وفي خضم هذه العملية المعقدة يفسح المجال لأفكار عديدة بالظهور في محاولة لتلمس احتياجات المرحلة الملازمة واللاحقة لعملية التغيير الديمقراطي التي يبدو أنه لا مناص منها بطريقة أو بأخرى.

لم تتوقف الانتفاضة الحالية عند حدود الكشف عن مواطن الفساد الكامن في مفاصل الدولة ، بل تعدتها إلى الشروع في صياغة علاقة جديدة تحد من اختلال التوازن في العقد المفترض بين الدولة والفرد.

وبدأت الأوساط الأنتلجنسية تطرح واقعة المجتمع المدني كمرافق للحراك ذو الطابع الربيعي السائد في عموم المنطقة .

ما هو المجتمع المدني " تعاريف "؟

ان لفظة المجتمع المدني مازالت لفظة يكتنفها الغموض على الرغم من مدلولها الإيجابي فيما يتعلق بدورها كمقابل للمجتمع السياسي ، وهو المجتمع الذي يدور حول السلطة أو يعارضها ، أو المجتمع الأهلي وهو المجتمع العائلة والعشيرة والقبيلة، ويتضح من المفاهيم و التعاريف المساقة لتوصيف المجتمع المدني ، أن أصحابها يتحدثون عن عدد من القضايا والمفاهيم والآليات السياسية والفكرية والأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية ، ويحاولون أن يشكّلوا صورة هذا المجتمع من خلالها ، كل وفق رؤيته وفهمه ونظريته.

فمما عُرِّف به :

أنه "المجتمع الّذي يقوم على المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادينها المختلفة في استقلال نسبي عن سلطة الدولة ، لتحقيق أغراض متعددة ..."

وعُرِّف أيضاً على أنه : " النسق السياسي المتطور الذي تتيح صيرورة تمأسسه (تمفصله في مؤسسات) مراقبة المشاركة السياسية ".

ويُعرفه آخرون بأنه " المجتمع الّذي يتلاشى فيه دور السلطة إلى المستوى الّذي يتقدم فيه دور المجتمع على دور الدولة "، لا بل ويذهب فريق آخر إلى اعتبار " المجتمع المدني وجوداً معارضاً ومواجهاً لوجود الدولة ، لذا يجب تقليص دورها ليسود دور المجتمع ".

وعُرف المجتمع المدني أيضاً بأنه : "مجموعة التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة لتحقيق مصالح أفرادها ملتزمة في ذلك بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والإدارة السليمة للتنوع الخلاق "

وعرف آخرون المجتمع المدني بأنه : "كل المؤسسات التي تنتج للأفراد التمكن من الخيرات والمنافع العامة ، دون تدخل أو توسط من الحكومة " .

و طبقا لهذا التعريف يدخل في دائرة مؤسسات المجتمع المدني أي كيان مجتمعي منظم يقوم على العضوية المنتظمة تبعا للغرض

ملف العدد

العام أو المهنة أو العمل التطوعي، ولا تستند فيه العضوية غلى عوامل الوراثة وروابط الدم والولاءات الأولية مثل الأسرة والعشيرة والطائفة والقبيلة، ومن أهم مكونات المجتمع المدني ، النقابات المهنية والعمالية والحركات الاجتماعية والجمعيات التعاونية والجمعيات الأهلية ونوادي هيئات التدريس والنوادي الرياضية والاجتماعية ومراكز الشباب والاتحادات الطلابية ،الغرف التجارية والصناعية وجماعات رجال الأعمال، المنظمات غير الحكومية الدفاعية والتنموية كمراكز حقوق الإنسان والمرأة والتنمية والبيئة، الصحافة الحرة وأجهزة الإعلام والنشر ،مراكز البحوث والدراسات والجمعيات الثقافية، وهناك من يضيف إلى هذه المنظمات الهيئات التقليدية كالطرق الصوفية والأوقاف وغيرها ....

رحلة المفهوم

وكانت الفكرة المشتركة لفلاسفة العقد الاجتماعي (اسبينوزا و هوبز و لوك و روسو) هي أن النظام الاجتماعي يخلقه الأفراد الذين يخضعون لسلطة ما يسوغها العقد الاجتماعي وهذا النظام لا يناط إلا بالقرار الإنساني الحر الذي يعد من وجهة نظرهم مبدأ أية قيمة سياسية أو أخلاقية....

على هذا المنوال تم تحرير المجتمع من الوصايا الإلهية ومن الأوامر فوق الطبيعية ، التي هيمنت على ثقافة الأزمنة السابقة، وبات العقد الذي يؤسس للاجتماع المدني هو الذي يحل الآن محل أية شرعية ميتافيزيقية أو لاهوتية مجردة كمبدأ للنظام والفكر السياسيين، ويفيد القول إن النظام الاجتماعي يخلقه الأفراد بقرار واع لمصلحتهم الذاتية ومناط بإرادتهم الإنسانية الحرة .

لقد أتاحت نظرية العقد الاجتماعي القائلة :

" بأن كل سلطة مدنية ترتكز في أساسها إلى الشعب ، وأن الشعب قد حولها إلى الحاكم ليمكنه من القيام ببعض الوظائف الضرورية " . هذه الفكرة العائدة في أصولها إلى الفلسفة الرواقية وإلى " شيشرون " . أتاحت التخلص من نظرية الحق الإلهي الكنسي والتحول إلى نظريّة الحرية الفردية وبناء الحياة على أساس التعاقد الإنساني الحر .

ظهرت المجتمعات المدنية على مسرح التاريخ الحديث في أواخر القرن السابع عشر وعمت العالم الأوربي، معتمدة على أبعاد أساسية ثلاث ، حرية السوق في المجال الاقتصادي . واستمداد السلطة من إرادة الشعب في المجال السياسي ، وتحديد مفهوم المواطنة وفق القانون الذي يضعه المجتمع.

لتغدو فيما بعد ، حالة كونية بالتوازي مع عالمية ظاهرة الدولة وانتشارها ، إن مفهوم المجتمع المدني ، رغم نسبيته التاريخية والنظرية ، هو مفهوم ديناميكي متحول الدلالة والمعنى ، ويحتفظ بطابعه الكوني ، بوصفه حقيقة اجتماعية وسياسية راسخة للأزمنة الحديثة وتصورا كليا عن الشكل الأرقى للاجتماع الإنساني الحر دون قسر أو وصاية .

وكونية المجتمعات المدنية هذه ، ليست حالة طارئة وعرضية وإنما هي حقيقة جوهرية نجمت عن التحديث الشامل في أشكال الاجتماع الإنساني وفي النظم الاجتماعية التي نشأت على أنقاض النماذج السائدة.

وكانت نظرية المجتمع المدني الأوربي في أساس تشكلها قامت على المفهوم العلماني للمجتمع ، فالمجتمع المدني هو المجتمع الّذي يقوم على أساس نظرية التعاقد بين الفرد والمجتمع .

إن المجتمع المدني الذي نشأ وتطور في مواجهة النظام الاجتماعي المغلق والضيق للإقطاع ، حمل من خلال حركة الحداثة الشاملة إلى مسرح التاريخ كواقعة مقابلة للدولة بوصفها سلطة سياسية ناظمة ونطاق للمساواة السياسية ،وتجسد بوجود ثالث بين الفرد والدولة ، بين الفلسفة الفردية التي تعطي مجالاً غير محدود للفرد ، وبين نظرية سيطرة الدولة ، واتّساع سلطتها ونشاطها . وفي هذا السياق برز تصور جديد يمنح الأفراد المتساوين والذوات الحرة والفاعلة أهمية مركزية في تشكيل الحياة الاجتماعية والسياسية ، واكتمل معه مفهوم جديد عن حقوق الفرد الإنسان والمواطن .

فالدولة التي بدت ضرورة اجتماعية وحاجة أخلاقية سامية في وقت ما ، راحت تفقد مبررها الأخلاقي أمام واقع المجتمعات المدنية المعاصرة ، التي غدت بنى إنسانية ، تقوم على احترام المعايير المشتركة التي تنظم الخير العام ، وعلى التسامح والفضائل المدنية التي تكرس المساواة والاحترام المتبادل بين الأفراد .

وهي بالأصل ، لا تعكس الجانب الأكثر أخلاقية لدى الإنسان ، بقدر ما هي حاجة موضوعية للجم الدوافع الإنسانية الأكثر شرا ، ولتنظيم أنماط السلوك الأشد ضررا في الطبيعة الإنسانية ، وعليه فإن الحاجة إلى سلطة الدولة يبررها وجود عنصر عارض من الفساد والسوء يخل بالتنظيم الطبيعي للحياة البشرية ، ولهذا تبدو الدولة والحال هذه عبئا على الحياة الاجتماعية وطفيلية أكثر من كونها ممثلة للفضيلة المدنية .

ملف العدد

لم يعد المجتمع المدني موضوعا للبحث العلمي والتحليل فحسب ، بل أصبح أسلوبا في الحياة الاجتماعية ونمطا في الوجود الاجتماعي والتاريخي لملايين البشر وإمكانية حديثة لتجسيد هذا الوجود الذي يتعلق به إلى هذا الحد أو ذاك ، مستقبل تطور الحياة الإنسانية الشاملة للعشرات من الكيانات المعاصرة ، مما يستدعي أن ننزع عن مفهوم المجتمع المدني طابعه الجزئي وأن نعيد إليه معناه الكلي.

انعكاسات المفهوم

ارتبطت عبارة (المجتمع المدني) منذ نهاية القرن الماضي ، بعبارات أخرى كالديمقراطية والحرية والتعددية حاملة في أتونها قدرا كبيرا من الايجابية ، وأضحى لها حيز واسع النطاق من رعاية الاجتماعيين والسياسيين ورجال القانون.

ولكن المفهوم ظل مثار خلاف وجدل.

فهناك من يعتقد مثلا أن مفهوم المجتمع المدني، ينطبق على المجتمع الذي يعامل أفراده بعضهم البعض باللطف والاحترام، ويتجنبون سوء المعاملة، ويمثله نظام من المؤسسات الجيدة التي لا يمكن لأحد أن يقف ضدها مثل المنظمات غير الحكومية، والمؤسسات الدينية ،والنقابات والاتحادات والجمعيات....

ونقيضه المجتمع الذي يعامل أفراده بعضهم البعض بالكراهية والبغض وسوء الخلق .... فهو وفق هذا المفهوم ليس مجتمعا مدنيا والمؤسسات والمنظمات التي تغذي الفرقة العنصرية والقومية والدينية والمذهبية هي ليست مؤسسات مجتمع مدني.

إن المجتمع المدني هو نطاق اجتماعي يعمل كحيز مستقل للمبادرات الجماعية والفردية الحرة ، التي تحول دون تطفل سلطة الدولة على الحياة الخاصة .

وتلتزم في وجودها ونشاطها بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والمشاركة والإدارة السلمية للتنوع والاختلاف.

وللمجتمع المدني بهذا المفهوم أربعة مقومات أساسية هي :

الفعل الإرادي الحر أو التطوعي، التواجد في شكل منظمات ،قبول التنوع والاختلاف بين الذات والآخرين و عدم السعي للوصول إلى السلطة.

ومنظمات المجتمع المدني تقوم على العضوية الاختيارية ، وتتخذ لنفسها الشكل المؤسساتي وليس الفردي، و يفترض فيها عنصر الاستقلال عن إدارة الدولة وسيطرتها، وتعمل هذه المنظمات من خلال هيكل إداري معين يهدف إلى تقديم خدمات للمواطنين سواء الأعضاء المشاركين فيها أو غيرهم، وتساعد هذه المنظمات الأفراد في التعبير عن آرائهم ومشاركتهم في صنع القرارات المتعلقة به .

وهوية المنظمة التي تتبع أي مجتمع مدني يجب أن تشمل عدة عناصر أساسية ومهمة وهي:

أولا : رؤية المنظمة المتفائلة للمستقبل المرجو لها، وسعيها الجاد لاستلهام وإضاءة رحلة المنظمة، كما يجب أن تساعد على ترسيخ الانتماء والالتزام لدى العاملين بالمنظمة، ويجب أيضاً أن تكون تلك الرؤية هي النقطة المحورية التي يسير عليها كل شخص بالمنظمة.

ثانياً : التركيز بأن تكون رسالة المنظمة وثيقة مكتوبة، تمثل دستور المنظمة (النظام الداخلي) والمرشد الرئيسي لكافة قراراتها، والتي تحدد بوضوح طبيعة النشاط الذي تقوم به تلك المنظمة، والخدمات التي تقدمها هي القاعدة الشعبية المستفيدة من خدمات المنظمة، كما يجب أن تحدد الإطار الأخلاقي والقيم التي تميز المنظمة عن غيرها من المنظمات الأخرى المماثلة.

ثالثاً : التركيز على أن تكون قيم ومبادئ المنظمة، هي مجموعة تلك القيم الأخلاقية وأنماط السلوك المقبولة، التي تضعها المنظمة كإطار يتحكم في تصرفات وسلوك الإدارة والعاملين بها مع ضرورة توافقها التام للقيم الأخلاقية بالمجتمع.

رابعاً : ضرورة وضع أهداف المنظمة أي الغايات أو النتائج التي تسعى المنظمة للوصول إليها، سواء كان تحقيق نتائجها وأهدافها، قصيرة – مرحلية أو حتى طويلة ومنها الأهداف عامة أو الأهداف الخاصة المشروعة.

خامساً : إن الفعل الإداري أو التطوعي في المنظمة يجب أن يكون بعيد كل البعد عن المنهج التقليدي، وعند اختيارهم لعضوية الأفراد، يجب أن لا يكون له علاقة بما يسمى بالمعارف أو الأسرة أو العشيرة أو القبيلة، أو تكون عضويته مفروضة بحكم الميلاد أو الإرث، أو أي نوع آخر من أنواع الوساطة والاختيارات الإدارية المشبوهة في تعاملها والتي ربما تدخلها الشكوك في تكوين إدارة المنظمة.

سادساً : مصداقية المنظمة وهي عادة ما يتم استمدادها من ثقة الناس أو الجمهور وبالدور الذي تقوم به منظمات المجتمع المدني،

، كذلك هي التي تبني وتعزز شرعية تلك المنظمات وهو ما يعرف بشرعية الأداء والانجاز.

سابعاً : تعتبر استقلالية المنظمة عنصر من العناصر الأساسية لتكوينها، وذلك لتمكين منظمات المجتمع المدني من القيام بدورها على أكمل وجه وبتحقيق أهدافها. واستقلالية منظمات المجتمع المدني تتطلب استقلاليتها تنظيمياً وإداريا عن إدارات الدولة الرسمية، وهذا ما يميزها عن الإدارات الحكومية والمؤسسات العامة، وفي كل الأحوال يجب أن تكون استقلالية منظمات المجتمع المدني بأبعادها المختلفة حقيقة واقعية، أي أن تكون استقلالية ممارسة على أرض الواقع، وليست مجرد استقلالية شكلية فقط.

الثقافة الديمقراطية المدنية أساس التطور الخلاق والمبدع

نبيل علي صالح

ما زالت عديد المجتمعات العربية تعيش في بؤرة واقع التخلف السياسي والاقتصادي رغم ما يعلوها من بعض مظاهر الحداثة أو التحديث الظاهري التي يمكن مشاهدتها وملاحظتها عند زيارة بعض البلدان، خاصة تلك التي تتوافر فيها الثروات الباطنية والموارد الطبيعية كالنفط والغاز وغيرهما..

وتظهر مواقع التخلف المجتمعية وأنماطه في انتشار الثقافة ما قبل الدولتية، من القبلية الدينية والسياسية، وسريان روح العشيرة في نفوس الناس وعقولهم، واعتماد فكرة الوراثة والتوريث السياسي والاجتماعي أيضاً.. وهذه الإشكاليات انعكست سلباً على واقع تلك المجتمعات وأدائها وحياتها، من خلال بقائها معلقة في بؤرة التأزم المجتمعي والسياسي العملي الدائم المستمر، الذي يظهر عبر تخلّف مجمل التطبيقات والإجرائيات السياسة الحاكمة وسوء إدارة ملفات التنمية الاقتصادية القائمة، التي تعتمد فيها عقلية الرعاية الاستهلاكية الادخارية البذخية، عوضاً عن عقلية الإنتاج والتطوير والبحث العلمي.. وقد لاحظنا مؤخراً نماذج وأمثلة عديدة سلبية لهذا النوع من الاقتصاد الرعوي والعقلية الرعائية البدائية، من خلال إصدار بعض حكام بلداننا العربية لمراسيم زيادة الرواتب ومنح الناس بعض التفضيلات والعطايا المالية، وآخر أمثلتها إصدار الملك السعودي عبد الله- ربما تحت ضغط التهديد بحدوث توترات وانتفاضات شعبية في بلده- مجموعة مراسيم ملكية (اقتصادية!!) منح من خلالها أكثر من 100 مليار دولار (لرعيته!!) بهدف التخفيف عن واقع الناس الاقتصادي والمعيشي.. حيث كان من الممكن ومنذ زمن طويل جلب وزيادة قدرات وإمكانات الاقتصاد السعودي بمئات المليارات كانت كافية ربما لزيادة مداخيل ومعيشة الناس وبناء اقتصاد إنتاجي صناعي متين، لو تمّ بناء قاعدة اقتصادية إنتاجية على غير الصورة التي نشاهدها حالياً والقائمة على هذا النوع من التعاطي الرعائي الرعوي مع مسائل اقتصادية حساسة تتطلب رؤى وأفكار وسلوكيات علمية دقيقة..

وهذه الخطوة في إراحة الناس وقتياً وآنياً التي قد يشكر عليها هذا الحاكم أو ذاك، والتي لا يمكن أن تقرأ في هذا الوقت بالذات إلا كنوع من الخضوع المؤقت أو رشوة الشعوب لشراء سكوتها في ظل الضغوط الشعبية المتزايدة في معظم الشوارع العربية من المغرب إلى اليمن، ومحاولةً منه لامتصاص نقمة أبناء وأفراد المجتمع السعودي التي تتصاعد نتيجة ما يرونه بأمّ أعينهم من ضخامة ثروات العائلة المالكة وأملاكها، وأيضاً من أجل تخفيف توتراتهم النفسية التي تتصاعد باستمرار خاصة في الآونة الأخيرة من خلال ما يشاهدونه من ثورات وانتفاضات شعبية عارمة عمت وستعم مختلف أرجاء الوطن العربي الكبير..

من هنا فإنّ ما يكفل بناء المجتمع، أيّ مجتمع، وتطويره، بقطع النظر عن بنيته ومكوّناته الذاتية والموضوعية، ليس وجود الحاكم الأعلى الأشبه بالإله المقدس، وليس بما يهبه من عطايا وهبات وتبرعات لأفراد مجتمعه الذين يعاملهم كمجرد رعايا لا كمواطنين محترمين لهم حقوقهم السياسية والفكرية والاجتماعية، بل ما يكفل هذا التطوير والازدهار المجتمعي الدائم المطلوب -القائم على ما تمتلكه مجتمعاتنا العربية من قدرات وثروات وإمكانات هائلة منظورة وغير منظورة- هو بناء السياسة ذاتها على وجود الإنسان الفرد الحرّ المشارك في مصائر بلده عبر صندوق الاقتراع الحقيقي الحرّ والنزيه، والمساهم في إيصال مجالس بلدية وبرلمانية حرة إلى مواقع السلطة الاشتراعية المسؤولة عن التشريع ومراقبة عمل السلطات التنفيذية بفاعلية قانونية، والضامنة لحريات الناس في التعبير عن الرأي وحرية التنظيم السياسي والاعتقاد المعرفي، وحقهم السياسي البديهي في التداول السلمي للسلطة، وتقنين وتقييد حركة أي مسؤول في أي موقع بالاستناد إلى القانون وخدمة الناس والمجتمع ككل..

وما يمكن أن يساهم في تطوير تلك المجتمعات، ويساعد في بناء أوطان حرة ذات قوانين ومؤسسات ديمقراطية عادلة، تتوزع فيها الثروة بشكل متوازن بين الناس، وتتقلص فيه مساحات الفساد السياسي والمالي إلى أدنى حدوده ومستوياته، هو وجود جمعيات وهيئات ومنظمات المجتمع المدني والأهلي التي تعمل كظل لهيئات وإدارات الدولة، فتقوم بمراقبة أعمالها ومشروعاتها، وتتأكد من مصداقية تنفيذها لخططها وبرامجها التنفيذية..

إن وجود حياة سياسية حقيقية في بلداننا العربية -وهو من الأهداف التي تسعى إليها هذه الانتفاضات والثورات العربية المشتعلة

ملف العدد

من المحيط إلى الخليج– لا يمكن أن يتحقق على الأرض ما دامت تلك الدول تحارب كل محاولات بناء مجتمعات مدنية حقيقية ترنو للحرية والعقلانية، والدين فيها علاقة شخصية رأسية.. على عكس ما هو قائم على الأرض حالياً حيث أن تلك الحكومات القائمة حالياً لا تريد لأحد أن ينغص عليها سكونها وجمودها وعطالتها وراحتها الكاملة في سنّ القوانين التي تريدها وتناسبها وتناسب مقاسات وحجوم عملائها وشبكاتها الزبائنية ومستثمريها الجدد، ولا تريد لأحد أن يوجه إليها سيوف النقد الموضوعي (ولو بالحدّ الأدنى) ليتحدث عن فشلها الكبير العارم في إيصال سفينة مجتمعاتنا إلى شواطئ الأمان والاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي الحقيقي لا المزيف...

لأن وجود هيئات وجمعيات ومجالس مدنية (أي تفعيل وتقوية المجتمع المدني بما يساهم بشكل فاعل في تطوير بنية الدولة ذاتها) سيقيد عمل وحركة قادة هذه الدول ومسؤوليها الكبار، وسيخضعهم لقيود الدساتير والقوانين والنظام العام بصورة عملية دائمة، فهناك من يراقبهم ويراقب أعمالهم وتوجهاتهم من المعارضات والمجالس والبرلمانات المنتخبة والإعلام الحر وغيرها.. إنه الرأي العام المدني المجتمعي المؤلف من مختلف أوساط المجتمع من الطبقة الوسطى التي تحمل هم التغيير الدائم من المتعلمين والمثقفين والباحثين والمعلمين والمهندسين والدكاترة، فهؤلاء هم من يجب أن يكون صناع القرار المجتمعي الحقيقي..

وقد عملت كل الحكومات العربية القائمة –وما زالت– على مصادرة تلك الهيئات ومواجهتها وإسقاط عملها وسلوكيتها وأهدافها.. ومع ذلك يبدو أن أمامنا فرصة تاريخية لإحداث تغيير حقيقي في بنية تلك الحكومات والمجتمعات، وإعادة الأمور إلى وضعها الطبيعي في تكريس حكم الديمقراطية والمجتمع المدني وبناء دولة القانون والمؤسسات، الدولة الخادمة لا الدولة المستبدة.. دولة الإنسان لا دولة الإله.. الدولة التي تعمل وتنتج وتنجح هنا وتخطئ هناك، وتتعلم من تجاربها وأخطائها، لا الدولة التي كلها أخطاء ولكنها تدّعي العصمة عن الخطأ.. والويل والثبور لمن يسير ولو بصورة بسيطة لأي خطأ فيها من هنا وهناك..

من هنا، فإن الأمل كبير في بناء دول عربية مدنية حديثة متطورة، والأمل ينطلق أساساً من خلال الشباب الطامح للحياة الحرة الكريمة، والعاشق والمحب للتغيير السلمي الديمقراطي المدني الحقيقي الذي يكرس حكم القانون وتصحيح العلاقة بين الحاكم والمحكوم ولإقامتها على أسس الحرية والديمقراطية، وما يستتبعها من حرية النشاط السياسي والنقابي، وحرية الرأي والاجتماع والتعبير، وبما يعطي هؤلاء الشبّان حقوقهم الإنسانية البديهية في العمل والإنتاج والمعرفة وإعادة توزيع الثروة وتكافؤ الفرص وتقرير المصير.. بعد عهود طويلة من القمع والإقصاء واستباحة الحكام لهم ولآبائهم من قبلهم، وما أدت إليه من إحداث بون شاسع وواسع بين هؤلاء الحكام وبين شعوبهم المستضعفة، مما جعل من إمكانية تجسير هذه الهوة بينهما أمراً مستحيلاً دون اتخاذ إجراءات جذرية حاسمة يمكن أن تكون قادرة على إقناع الناس بنفعها وقدرتها على تحقيق بعض تطلعاتهم في الحرية والسلام المجتمعي الحقيقي.. في إقامة الدولة الديمقراطية المدنية القائمة على وعي وإرادات الناس الأحرار لا المستبد بهم..

كلام بالصميم

الدكتور الشيخ محمود أبو الهدى اليعقوبي

توقفوا أيها الإخوة السوريون عن تقمص شخصية القاضي ... فالأزمة تقتضي الاستيعاب: : :

السفينة تتحرك ببطء نحو شاطئ التغيير ...
ومع أنّ الشاطئ كبير لكنّ الاختلاف بين ركاب السفينة كبير ...
ليس خلافهم في قضية الوصول إلى الشاطئ، لكن في تحديد المرفأ أو الميناء ...
ولذلك فكل الركاب يزعم أنه الربّان الأقدر على توجيه السفينة ...
مع أن هذه السفينة الشراعية تجري برياح أنفاس الشهداء قبل أن يلفظوا النفس الأخير ...
أقول هذا وأنا أشهد صراعا مخزيا وادعاءات مخجلة ... فالكلّ يتوهم أنه القائد ... والمبدع ... والفذّ ... والمحنّك ... وينظر إلى غيره على أنه الأقل فهما وحكمة وحنكة ...
والأنكى من ذلك أنّ (موضة) التخوين والاتهامات للذين تحولوا من صف قتل الشعب إلى صف الدفاع عنه بدعوى أنهم قد جاؤوا متأخرين ...
إنها ظاهرة الفوقية الثورية أو الأنا الزمانية ... التي تنفخ النفسَ وتضعُ صاحبها الإنسان على كرسي قضاء يحكم في الناس كما تهوى النفس ...
ما هكذا تورد الإبل ...
من المعيب أيها الإخوة السوريون أن تغيبوا عن مشهد دماء السوريين ...كلِّ السوريين ... وأن تتحولوا وأنتم في قعر الأزمة إلى حكام وقضاة ...
علينا أن نحكم على أنفسنا بالفشل منذ اللحظة إذا لم نتعلم لغة استيعاب الجميع ...
سيأخذ القضاء العادل مجراه في الذين غاصت أيديهم في الدماء ...
أما الذين يقفزون إلى سفينة النجاة (بعيدا عن نياتهم ... وأهدافهم) فإنّ السفينة تتسع للجميع ...
حتى لو كان الذين يقفزون ... يقفزون نفاقا ... أو خوفا ... أو رغبة ... هذا ليس من شأننا ...
المهم أن لا يكونوا ممن سرق أو قتل ...
تذكروا قول النبي يوم فتح مكة: (ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن) ...
تذكروا أن نبي الله نوح حمل في سفينته زوجين من كل شيء ... وكان فيما حمل على سفينته ... الأشجار الطيبة والأشجار الخبيثة ... محافظا على توازن الكون ...
إنه طلب من ولده الكافر أن يصعد إلى السفينة لكنّ عناد ولده قاده إلى الغرق ...
- إذا لم تبدؤوا بخطاب استيعابي للجميع ...
- ولغة إيجابية تنظر إلى الجزء المليء من الكأس ...
- وتحريم للغة التخوين وصدام الاتهامات ...
إذا لم نتدارك أنفسنا في هذه المرحلة بذلك ... فسوف نكون سبب غرق السفينة ... قبل أن تصل إلى شاطئ الأمان.

سوريةُ اشتياقي لكِ يتخمّر في الهواء

غنايّة جابر

الى أطفالك . إليك سورية، الى مدنك الشاحبة ومن دمار في النسيج والأبنية، الى صمت العالم، إليّ وحدي. حين تعودين مرهقة من طيرانك تجدينني هنا، انا الفصامية الابدية. كل يوم آمل أن أجد وسيلة للنسيان، ولكنها هذه البذرة الملتهبة، فلا بأس أيتها العصفورة المفترسة.

بثوبي المسائي جالسة إلى البيانو، أعمل على الدواسات بقدمين حافيتين وأغنّي نحيبك . النافذة مفتوحة على الليل، مفتوحة النافذة على قلب الليل كمجهر كبير. مستعدة للصراع دائماً ـ أنت تعرفين ـ لكنني وعدتك أن أكون لطيفة و'سلمية'وهادئة، وأن أكفّ عن الأنين، فلا تهب ريح ولا..

أجلس إلى البيانو وأفور بشيء حار. أباشر تمارين السرعة. أناملي لدنة على المفاتيح، سوداء بيضاء كقصة طيبة. هذا الليل لا يقيدني الى السرير، بل يأخذني الى نهبك أكثر، نهب صورتك وصوتك وحنانك، ويدفعني الى عزف حفنة نغمات غير متآلفة. صدقيني إنها ضجة مفهومة. إنها مقتلة مفهومة. بديلة أيضا عن قلبك الثلجي، وتاريخ أخلاقياتك، ومنطقك الاستقرائي، والاستدلالي، وتعبك، وشكل نهارك ووزن جمجمتك، قراءاتك وكتبك وتراثك وأهازيجك وعلم المنطق، وكل معارفك العميقة، وحواريك التي يجلدني تذكرها وتسبب لي البكاء والكآبة.

هذا واشتياقي لك يتخمر في الهواء، في الغرفة وفي خشب البيانو، فلا يسعني سوى عزف اللا تآلف وتدمير كل أشكال الهارموني. معك حق، أجل من الصعب ان تفهمي هذا، لأنني ـ كما تعرفين ـ أكتب بشكل سيىء حين أكون حزينة، وأكتب بشكل سيىء حين يكون يأسي مغذّى جيداً. ليس سراً أنني أعالج موت أطفالك بالكبريت، أعالجه بالشمع والبخور وبالعزف الناري الرشيق، وهذا ما أشاع إنني امرأة غريبة، شكراً للنظرية إذن ثنائية الحدود، شكراً للبلورة السحرية وأوراق اللعب.

إن كل الحكايات التي خلقتها في رأسي عن قيامتك، تنتظر لوقت مقبل، لوقت فيه إهتزازات جديدة، فلا تعودين أنت تؤنبينني لأنني أحكي كثيراً، ولأنني أريد أن أتجاوز مفهومك للمعاناة. ماذا لو ألقيت نظرة واحدة على عالمي الذي يتداعى لأجلك، نظرة واحدة على مخاض عالمي، صوت أنهاره الجارفة، شياطينه وثرثرة نجومه.

ثم ـ لمعلوماتك سورية ـ إنني لا أزال علي قيد الحياة، بفعل فتيل رقيق بين الفم والرئتين، لكنك أنت مقطوعة الأنفاس، والصخرة من الثقل بحيث لابد تطحنني معك.

بسبب من غضب كبير تتغير تضاريس مُدنك، يسود بردى فلا تأخذ العالم رأفة، تبقين زعلانة في نماء وحشتي وبلا نهاية.

تعرفين أنني تلمظتك كشراب حلو، واذا ما مضيت في زعلك أبعد من هذا، تختفي الرقة من العالم . كل صباح أحمل أملي اليائس ومربوط بكلمة منك، بنشيد من حنجرة مذبوحة، أملي ويذهب بجلال هادىء، يتبخر، وأقترب ـ صدقيني ـ من الموت.

اكتبي كلمة لي، افعلي شيئاً من أجلي، أنت التي هجرتني وتتفرجين عليّ صاعدة الى السماء بكل حبك الذي يخصني، فلا أترك تنهيدة على الارض، بل هو الصعود النظيف والفراغ العظيم. اصعد بلعنة النبذ والقتل والحقد الأسود.

كل هذا الجفاء الأحمر؟ كل هذا الصمت يا عزيزتي والعضّ على الوجع، فيما أكتب لك بأنامل تنمو تحتها الكلمات نمواً عملاقاً، رسائل دخان وتبددها ألف غيمة لئيمة.

الغرفة هادئة، ولابد أني أصرخ بإسم سورية، أتسلّى بتقبيل العشب الذي برعم بين الشقوق لمفاتيح البيانو، وأمتّد على الجدار كنبات صريح. بقيت مني قطعة صغيرة جداً، حية، ولكانت لتموت كسواها لو لم تكن تخفي سراً معجزاً. مع ذلك تعرفين جيداً أننا وصلنا معاً من دون صوت ولا أية.. آه، وخلفنا تكمن حقيقتنا الهادئة. كان سباق الكرامة ولهاثها الى أقصى الشيء، السباق الضائع والضال ولا يوقفه احد. على طرف أفقك وقف التريث، فانظري كيف أتحدث الآن عنك، كأنما مجرة غاصت خلف الافق.

أنت معي. أنت معي وأية ليلة هادئة ولا نهاية لها. أنت هنا، هنا وهناك وربما تنظرينني، تنظرينني كثيراً ولا أعرفك في عينيك، لا أعرفك في قممك ومجنونة من الألم لكنك هنا عن جدّ. أنا متأكدة. يدي اللدنة متأكدة، يدي المسعورة وتجلد في نغمات هستيرية فيتفكر البيانو في هذه الليلة الشيطانية.

هذه ليلة شوق ضخم وكل شيء منفتح على آخره. هذان شبحان، مدينة وعاشقتها ولا حدود بين الاشياء ورقيقة، رقة لا تقاوم.

انني في الحب ومحبوسة بعذابك. محبوسة في البؤرة السوداء لا خصوم ولا منافسين.

لست مجنونة تماماً، ومن بين ملايين الكلمات اكتب لك تلك التي لا تعجبك، تلك التي تعجبني، بلا منطق، بلا رأس. مع ذلك أكتبها لمجد الكتابة الحيوية والرائعة، مجد الكتابة التي هي فخ وهاوية، وشرايين زرقاء.

اليس غريبا كفاية، إنك تصنعين شهقاتي القوية، انا المسلوبة الانفاس ونحيلة، نحيلة وقادرة حتى السماء. كيف القصة في إنسجام الاورغنزا السوداء مع الليل الاسود، تهدرينها ؟ كيف حبيبات اللؤلؤ تتفصد جسدك، قراك ومدنك وتهبط بها الى السؤال. إنني أراك في الغد، وأراني مجرد تفصيل، وأكثر من رسالة أكتب لك الآن .. لأنتشلك ..!

أنتِ... بين السيفِ والحرفِ

محمد زكريا السقال

ها أنت تُصرينَ على المضي هازئةً بكل شيء، ..
فرساً جموحاً لا تُسلس عنانها إلا للشمس
تصهلينَ بسخرية، ..
تدوسينَ ما يَدسهُ سَاستُك من علف أفسدتهُ رطوبةُ الحصارِ ..
وإغلاقُ النوافذ، ..
غاديةً ضَبحاً وموريةً قدحاً، كما أقسمَ الله بها وأجمَلْ !!!
لمْ تنتظري لتُرخي عنانَك، معادلاتُ الحداثة ونظرياتُ النسبية،
فعشقُ الهواء لا يعرفُ تفاسيرَ الكتب ولا فقه العلماء.
تركت الثابتَ في ذهن الكتاب ثابتاً أبلهاً متحجراً لدى كهنة رفوف الكتبْ !!!
وضربتَ بالمتحول ليصبحَ نهراً يتدفقُ ويغسلُ كلَ القيحِ والصديدِ في الكلماتِ الجامدة.
لا يستطيع أن يوقف صريرك وحمحمةَ انطلاقك
إلا هم، ...
العارفون بسرِ الحياة والمغرمون به،..
سرِ وجعِ الولادة وإرادة الكون،..
مَنْ لا يخضعون للقوالب .. ،
مَنْ يرفضون سكونَ الحوارات الجامدة البلهاء.

ترسُمينَ طَريقَك قدماً ،..
آخذةً بيد الشيوخ والأطفال والشباب .. والنساء والرجال.. والعلماء،..
تشدينهم كي يجلسوا معكِ على مائدة واحدة،..
مائدة طازجة من حب وعسل ومياه.
تفردينَ يديكِ وسعهما كسيدةٍ تعرفُ كرمَ الحبِ وظلالَ العشق، وتقولين:
كلٌ وجوعه،..
كلٌ وحلمه،..
كلٌ على المائدة،.. ولكلٍ غذاءٌ نظيفٌ طازج
يُعمرُ أكثرَ من وطنٍ ويُسيّجُ أكثرَ هذي البلاد.
فلتتلوا ما شئتمْ ..
ولتغنوا ما شئتمْ
ولترقصوا ولتكتبوا ما شئتمْ.
هنا يبتدئُ الكونْ !!!
على تلكَ التلة البعيدة الشاهقة سنرسمُ بكلِ الألوانِ ونزينُ بكلِ الأشياءِ
هذه المساحات.
لماذا تريدونَ تشويهَ جسدي بقرفكمْ، وتعاسةَ عقولكمْ ؟ !
فالنار انقدحت من أول تلاقي حجر مع دم الإنسان.
لم ترتض لفعل القتل طريقا !
خُطّتْ بالنزفِ الأولِ أولَ موبقةٍ يمقُتها الله.
وحلَ في الأرضِ جدلٌ بين وارثِ الفسقِ ووارثِ الحب.

صَمَدَ الحبُ وعَرَشَ في كل صدورِ العالم،..
عَرَشَ خبزاً...فرحاً...طفلاً..
ونساءً يَقْتُلْنَ صدوداً وتمنعا،..
وشباباً يعرفُ كلَ جميل.
يبتدئُ الوطنُ بحرف ينمو ليصبحَ أبجديةً تَأخُذنا إلى سِرِ الفرحِ وسِرِ الله.
ينتهي الوطنُ بسيفٍ لا يعرفُ غير جزِ الأعناقِ وقطعِ الأرزاق..
بين السيف وبين الحَرف !
أختارُ الحرفَ..
يأتيني ببواكيرَ تَفْتَحُ للريحِ نوافذَ وطرقاً..
فَيَهِلُ الخصبُ وتعطي هذي المدنُ غلالاً،..
سلالاً يُطَوِفُ بها الأطفالُ...يرسمونَ الفرحَ المفقودَ منذ عقود.
أيها الواقفونَ على عتبات الكتبِ .. واجمونَ بينَ الحروف..
تائهونَ مذهولونَ تمرونَ !!!
لا تقفُ الريحُ وهي تجوبُ المدنَ والحارات
ولا تستمعُ لمن أكلهم العمرُ بانتظاري،..
وطَوفوا يبحثونَ عني.
ولما أتيت .. مثلَ حاملٍ تئنُ... من وجعٍ وقهر،..
عيناها زائغتانِ من نفادِ الريقِ وصريرِ الأسنان.
رحتم تتآمرونَ على ولادتي وتصرونَ على إجهاضي
لأنني لم أُفصّل تقاطيعَ جسدي على مقاسِ عقولكم،..
لم أتوحمْ على فكاهةِ حلوقكم،..
لم أخضعْ رحمي لعنَانتكم وشهواتِ ذكورتكم.
أنا امرأةٌ لا تَخضعُ لمزاجٍ وتردد،..
بل أهبُ بكلِ إرادتي.
وعلى الذين يريدونَ عشقي ويسهرونَ بانتظارِ قدومي
أن يتحيّنوا أولاً تلاويحِ خطاي،..
وتحمّلَ إعصاري،..
وتمشيطَ ضفائري،..
وتهيئة أنفسهم لمواعيدي،..
والقبولَ بي كما أنا، بكلِ دويّي...وصراخي...ورقصي وعبثي.
وعليهم من ثم ترويضي كي أسلسَ قيادي،.. ولن أسلسَه إلا لفرساني.
فأنا أحب فرساني .. بكل تمردهم وعبثهم وصراخهم ونزفهم
هؤلاء هم الذين يستطيعون امتطاء صهوتي لمحاربة كل الأصنام
وتحطيم كل كهنة العصر.

عن الحب ... وهل هناك أكثر

تحقيق: غزل خزنة

مَرجةٌ صغيرةٌ خلفَ المَنزل الريفي .. وحبٌ غَضٌ يمزجُ سراً لغايته و لاشيْئها ... كان سيرَتها الذاتيةَ ,, وكانت قصيدتهُ .. ثورَتهُ التي عندما اكتملتْ هجرَ جذرها ومضى إلى دمشق .. نثرَ عينيها على ملْء الكلمات .. فأحبته كل النساء لأجل عينيها .... وهي .. اكتفت بسيرته

حسناً .. طرّة أم نقش ... طيب طرّة .. لا .. خسرت .. سوف ننتظرُ المزيد! لا أريد .. سيتوجب عليك أن تخلعي خُفَيك الآن .. مرةً أُخرى .. طرّة أم نقش؟ نقش .. لا لا خسرت لكننا لن ننتظر طويلاً .. سيذهب عمّا قريب .. ولأنني أدرتُ العملة جيداً كافئيني واخلعي قميصك ... حبيبي .. هل سيطول هذا الحال .. ناولني القطعة النقدية واصمت .. هيا أجبني .. طرة أم نقش؟ ممم نقش .. لا حبيبي خسرت .. سنُعتقل في مظاهرة الغد .. إخلع بنطالك .. موافق ولا جدال .... أديري الزجاجة بسرعة .. والرهن على خروج أحمد من المعتقل .. عند أي اتجاه سوف ترسو؟ الشمال الشمال .. مسكنية يا حبيبتي .. وأحمد مسكين .. تعرّي وانتظري جوابي ... حسناً أيها الثائر الثائر .. أدر القنينة والرهن على تسلّحنا .. في أي اتجاه سوف ترسو؟ إن كان كذلك .. فغرباً لا محالة .. رَستْ في الشرق أيّها الجميل .. وسنبقى سلميّون حتى النهاية ..... وماذا عن ثورتي في هذه اللحظة .. حبيبتي .. سأبدءُ ثورتي عليكِ كيفما كان اتجاهُكِ بكاملِ الأسلحة

عندَ البحر ... قمرٌ فضي .. برتقالي .. ينتحر .. أحمر ... بلون دم الغزلان .. ثم يسقط في نعش من ملح ويواريه الزبد .. على الشاطئ أنا .. راقبت ملحمته برعب .. تصلّب جسدي .. واشتعلت الريح مِن حولي .... اهتزّ شجرُ الصفصاف .. نشل جذوره ومضى إلى الماء .... بقيتُ وحدي .. أنا .. وطَيفه .. حامَ بجانبي .. اقتربَ مني وهمس .. قتلوني ولم أزل على عَتَبة الهوى .. متُ ولم أكن قد عَرفت القبلة بعد .... سحبت نوره .. التصقت به .. اهتديت إلى شفتيه .. قبّلته حتى تلاشى .. أخذَ متراً من روحي ومضى .. وإلى جانبي نبتت شتلة وردٍ أحمر .. خرجت غابةٌ من حضن البحر .. وعادَ إلى الحياة .. قام القمر

كزهرة ياسمين وسطَ المحيط .. وخَلفَ الحدّ القمع المنفى .. ترسم بحرف وشهقة شكل اغترابي وأنت البعيد .. صامتٌ كمدفأتي بلا حطب منتصف كانون .. حبيبي ما أبْردَكَ .. وإذا استفاقَ غُصنٌ من آبَ فيك .. أشعلتَ فصولاً افتراضيةً في حنيني .. أنتهي بعدها ممزقةً خيالي ولا أجدك .. وبعدَ أن تستعيدَ ثلجَ ملامحك .. نَذهبُ مجدداً إلى كانون .. وتسألني بكامل هيبتك .. كيف هو الحالُ على الأرض؟ تلك التي أدري أنك تعشقها أكثر مني .. الأرض التي ترديكَ كلَ يوم ببعدها .. ولإجلها وأنا الجزء منها تُرديني .. حبيبي ما ألأمك ... أنتهي وأنتهي أشتعل وأبدأ وأنتهي والردى والردى والردى عينيك المغبشتين حتى الدمع على شاشة اللقاء الفقير بك ومنك وكلّك ... أريدكَ .. وأعلمُ أنني إذا قلتُ أريدُ جسدكَ الآن .. ستَسجّلُ هذا .. لأجلها .. لأجل سُمرة صَلصالها .. ضدّي

الخجل من الكتابة

منال السيد

أستطيع الكتابة، وأشكو من ضعف أثناء التعبير، ومن تردّد في العبارة، ومن وجلٍ من الفكرة، ومن تخوّفٍ في التأويل، ومن خشية من نزعة القارئ، ومن نزعة الكاتبة. أشكو من وهنٍ في القول.
لدي الأمنيّة والحرص، لكنّ الكاتبة الملهوفة ليست موكّلة إلا عن نحولها.
القهر نصالٌ من النار، بشأن ما يقع على البنات والأولاد، والشباب المندفعين، والرجال الهادرين. القهر نصال من غرور المهاجمين المتكالبين، وافتقادَ أيّ معنًى لغاياتهم وسبلهم، وأيّ معنى لوجودهم. ولكنّ نصال القهر لا تفعل كتابة، بل توهن العزيمة، إذ لا أملك أن أكتّف أذرعَ أحد، كما يخطر في بالي، أولَ وهلة أن أفعل، حين أراهم في الصورة يهجمون على الضحيّة.
يقع الترويعُ على من فكّرتُ فيهم طوال أوقات الكتابة، المندفعين، الأنقياء السريرة، أصحاب الرقّة، ممن حرصتُ عليهم وكانوا أبطالي بيني وبين أوراقي. أيّ حيلة توقظهم اليوم من مضيّهم في استشهادهم، من انغماسهم واستسلامهم؟ ولا أستطيع أن أوهم أحداً منهم بالنهوض.
إذن، عملُ الكتابة هباء! والإيمانُ بالحقّ في لغتنا العربيّة لايفعل شيئًا! وإخلاصُ المرء ومضيّه في الإيمان لا يفعلان أيّ شيء! فالكاتبة لا يَسمع منها الربّ، ولا تراها الملائكةُ، ولا يلتقيها المؤمنون. كم كانت متبخترةً بإيماناتها ويقينها بالحقّ الذي لا بدّ ، كما كانت تعتقد، أن يعلو.
فالعبء الأكبر على الإنسان هو أن يكون كاتبًا باللغة العربيّة، ولا يتقن شيئًا غير الكتابة بها. الأبرياء يستصرخون، والكاتب يهرب، ليتناول ورقةً ويسطّر.
الفجائع كثيفة: تتكالب على الشعور، وتُعجز النفسَ أمام الضمير، وتشلّ ذراعَ الكتابة.
والكاتب طفل في موهبته، يحتاج تصفيقًا ودعمًا لكي يعبر. والتصفيق في هذا الظرف عيب وعار. والحقّ الأكمل الذي ينشده لأهل بلده هو أن انهضوا من دون أن تموتوا، كما تنهض بقيّة أهل الأرض ـ وهو نداءٌ يستدعي تهكّمَ أولي النفوذ.
ويهتف في العمق صوتٌ: "لماذا لا تفهمون؟". صوت مكتوم ولا جدوى منه، يضرّ صاحبه، حين الصوت لا يؤدّي غايته: إنْ كان لهؤلاء أمّهات، إنْ كان لذويهم ومن يعتنون بهم ويطعمونهم، إنْ كان لديهم أيّ معنًى، إنْ كانت ثمة في زاويةٍ ما من نفوسهم خليّةٌ يمكن أن تستيقظ!

أما الجهة المعافاة، النشطة، التي تعلم ولا تفعل، فليس لديها غير السياسة والإحصاء: سياسة السياسيين، وإحصاء الحياديين، حيث الضحايا بالأرقام.
الناس على عجلة من أمرهم. يحصون قتلاهم ويهبّون.
لم يحصِ أحدٌ ما يلامس عمقَ الفجيعة، وامتدادها. لم يضحّ أحدٌ تضحية الشهيد، ولم تتمكن الكاتبة من أن تضحّي. أو ربما غصبًا، لا بإرادتها، تضحّي. مغتصبون نحن، حتى في تضحياتنا.
ماذا لو عدتُ إلى بلدي، عشتُ في بيت الضحيّة، مع أمّهات البنات المخطوفات، الخائفات، الغاضبات؟ آخذ بيد الأم، نبحث عن ابنتها، ونعثر عليها، ونرجع إلى البيت نساءً معزّزات مكرّمات؟
صبيّة صغيرة، مازالت عقدةُ الساتان تزين شعرها، فيما يدٌ تقلّب جسدها المثقّبَ بالرصاص، كما تقلّب فروجًا!
المشاهد تغرز. وتقول أختي بحسم: لا فائدة من رجوعك إلى سوريا الآن.
قتيل رحل بروحه، وترك لنا الإثم. نحن شهودٌ في عالمٍ لا يجيد إلا سياسة النسيان وقذف الآلام إلى الزمن، والزمنُ غافل.
والضحايا في السياسة مجردُ ورقات وأرقام.
ويجرّون الكاتبة جرًا، ويسحلونها سحلاً، كي تعلن موقفًا.
والكاتبة الآن لا تهمّها الهيبةُ ولا المواقف. هي تحتقر الهيبة والمواقف. يأكلها همُّ الأمّهات والآباء، وعيشُهم من دون حبيبهم. أولاد يُتّموا، وهُدم غدُهم، وأصبحوا أيضًا، مشاريع أوراق ومشاهدَ وأرقام، سوف يخدمون السياسةَ والساسةَ غدًا، وسيقع عليهم الإحصاءُ يومًا، كما حدث وفعل أهلُهم، وكما وقع على أهلهم. هكذا تُسهّل طرقُ السياسة والمخطّطات. أترون الحقّ؟ هذه هي الأبراج التي ترتفع حين يرتفع عددُ الضحايا في منطقتنا، فقط في منطقتنا!
لن نسامح عن الضحيّة، وإن سامح العالم عنها. لدينا الحقّ في إسطاع حقوقها. وإننا مسؤولون، ولن ننسى!
يمكنكم الآن أن تتضاحكوا من وعيد الكاتبة. فالكاتبة لا تملك محكمةً، ولا تملك أن تحاكم أحداً. وربما لن يمتدّ العمرُ بها لكي تتشفّى بكتابة رواية؛ فالأدب في نبله الحقيقيّ يلزمه عمرٌ مديدٌ قبل أن ترقى لغتُه إلى ألم بُنيّة خُطفت الآن وتستنجد، ولا يوجد من يسمع استغاثتها!
ليست لديّ مهاراتٌ كي أبقى متماسكةً. وأدّعي الأمل، حين اليأس الشديد.
سئلتُ لماذا لا أكتب؟ وكان هذا بعضًا قليلاً من أسى الكاتبة.
أخجل من الكتابة. وأخجل حين أستطيع التعبير.

قط شبخ شباب

ياسر السيد

بينما كنت اجلس على مقعدي المعتاد في الحديقة العامة .....
اراقب تدرج اللون الاخضر في الاشجار والنباتات واسمع موسيقى هارموني لتداخل اصوات العصافير مع الحسون والجقار .....
اسبح في ملكوت السماوات وابتعد عن مصائب الارض ...
اقترب مني قط انيق اسود مع لطخة بيضاء على الوجه والرقبة ....
شواربه مصفوفة بشكل يخيل اليك انها مرسومة رسم مع عقفة بسيطة للاعلى تبدو عليه هيئة العياقة والشبوبية .
يحمل بيده سبحة حمراء نوع كاربا مشلشلة بالفضة ..وقال :
بتسمح نقعد ابو الشباب .
قلت تفضل .
بعد جلوسه وضع احدى رجليه على الاخرى واخرج علبة تبغ من الفضة مع قداحة وقال :
تفضل عفرلك شوي معلم .
قلت شكرا انا لا ادخن ...
لك شو بتساوي قالها وهو يقهقه من الضحك .
اشعل سيجارة وتصدر الى الخلف اخذ سحبة عميقة حبسها قليلا ثم اطلق سحابة كثيفة من الدخان مع تنهيدة قوية ارسلت السحابة بعيدا عن مكان جلوسنا .
قلت له خير ان شاء الله شو صاير معك حتى نفخت كل هذه النفخة .
قال والله ياادمي انا مافيني شي بس زعلان منكم وعليكم انتم بني البشر .
قلت له له خير و من شو زعلان اخي قط .
قال بامكانك مناداتي ابو هارون وتابع قائلا انتم بني البشر اسباب البلا على الارض كلها وفوقها بتحملوا مشاكلكم وبترموها على غيركم .
قلت وشو هي مشاكلنا اخي ابو هارون .
اخذ سحبة اعمق من الاولى واطلقها سحابة دخان وتابع
قائلا انتم ياخي مشكلتكم الاساسية ان اغلب اعمالكم بتعملوها بالسر وبتخجلوا من عملكم وفوقها بتتهموا غيركن بالشي الي عملتوه .
وتاركين الدنيا ولاحقين سما القطط وكل شغلة بتطبوها برقبتنا .
يعني بياكل الواحد منكم الاكل ولما بيسالوه وين راح الاكل بيقلهم اكلو القط .
هون هو سرق وكذب وافترا علينا نحنا معشر القطط .
وفوقها امتال علينا ومسخرات كمان قال شو بيقلك والله فلان القط بياكل عشاه لك ياخي شو هلحكي انت مرة اجى قط واكلك عشاءك ..؟؟
قلت لا والله .
طيب و متل القط بسبعة ارواح يعني منين هادا الكذب مابعرف استحلفك بالله انت شفت قط عفستو سيارة وتشقف شقف ومات ورد عاش .
لا والله ماشفت .
طيب و القط مابيحب الا ختاقو يعني فهموني شلون استنتجتوا هادا الشي هني شافوا القط رايح يتذلل عن الي بيقتلو و يبوس ايدو ويقلو نحنا معك للموت انت بس تامر يا معلم...!!! يعني اشو هالحكي هاد والله شيئ بيجنن وبيطفر ياخي .
قلت و الله مابعرف .
لا وسماع على هالشغلة كمان .

ب
قال ذكرنا القط اجى ينط يا اخي اذا هيك مشيتو الطبيعية شو بدكم ياه يمشي على روس اصابيعوا متل راقصين الباليه او يزحف على بطنه من شان تنبسطوا .؟؟؟
ياخي بصراحة نحنا معشر القطط كتير واضحين وما عنا لف ولا دوران ولا شي مخبا كلو على المكشوف ومتل مابتقولوا انتو بشفافية و وضوح .
بس عنا شغلة وحدة منساويها و منخبيها وهي انو لما الواحد منا بيطلع لبرا يعني ولاتاخذني بها لكلمة بيبرز ... بيحفر جورة وبيطمرها يعني بيخفيها من شان ما ينزعج من منظرها الاخرين وما حدا يتلوت فيها .
بعكسكم انتم الواحد فيكم بيعملها والباقي بيتلوتوا فيها ...
لا وفي منكم بيركضوا يمسحولو و بيشطفوه كمان .....
و فوقها بتتمسخروا علينا ومانا عاجبينكم .....
ياسيدي الحمد لله انو كنا قطط مش بني ادمين ....
وهاي اكبر نعمة من رب العالمين .....
تركني وغادر متبخترا كما اتى .....
وعدت الى سباحتي في ملكوت السماوات والابتعاد عن مصائب الارض .

أنا سفكوني

طفلي الذي أجلتُ موتَهُ

قلتَ: أريدُ اللعبَ في ساحة الدّارِ..
سحبتَ حبلَ القفزِ وصرتَ تقفزُ كفراشة تتعلمُ الطيرانَ ..
سمعتُ ضحكاتكَ التي غمرت البيتَ وأنتَ تقولُ: ((ماما أنا عم طير.. أنا عم طير))
راحت أعينُ القنّاصة تلاحقُ ظلّكَ الصغيرَ يقفزُ على الأرض، دون سابق إنذار تواطأت الأمكنةُ وعينُ القاتل والهواءُ لفتحِ وابل الرصاص على جسدكَ الغضّ، تجمدت عيناي في المسافة الفارغة بين قدميك والأرض، ولمَ أدركْ من منّا قد مات حينها، تحركتُ بخطىً تهذي بارتجافها نحوكَ لالتقطكَ في زمن السقوط السافر، كنتُ أنا الأرضُ التي تلقفتْ موتكَ، امتزجَ طعمُ الدمِ بالدمعِ حين ضمتكَ ذراعي، شعرتُ بيديك الدافئتين، قبّلتُ وجهكَ ليس وداعاً إنما أملاً بإيقاظكَ كما أفعل كل صباحٍ، ذاتُ البراءة كانت تتوجُ ابتسامتَكَ الساكنة مع الموت، رحتُ أشتمُ رائحةَ عرقكَ الذي اختلطَ برائحة البارود..
كيف لم تخطئ الرصاصةُ قلبكَ يا صغيري..؟؟
رغمَ أنكَ توقفت في تلك اللحظة عن الحياة، إلا أني كنتُ واثقةً من أن قلبكَ مازال ينبض، وأن صوتَ نبضه أعلى من صوت رصاصهم.
كان الطقسُ بارداً.. خشيتُ عليك رغمَ الموت من البرد، ودون أن أعيرَ موتَكَ أي انتباه خلعتُ سترتي وخبأتُكَ بدفئها.. لم أستطعْ الصراخَ فكنت أعلم أنَ حبالي الصوتية قد باتت تالفةً وممزقةً.
بدأتُ أدندنُ لكَ أغنيةً كنتَ ترددها وأنتَ ترمي لعبكَ الصغيرةَ في الغرفة، كنّا نضحك من الفوضى التي تخلفها في أرجاء البيت وأنت تحلقُ كعصفورٍ من زاويةٍ لأخرى وتنثرُ في الهواء أنفاسك مع القطنِ المتطايرِ من لعبك.
لستُ أهذي يا صغيري، نعم هو صوتُكَ الذي يرتلُ بعفوية: (ومغارة سهرانة فيها طفل صغير بعيونو الحليانة حب كتير كتير .. تلج تلج عم بتشتي الدنيي تلج)
نعم.. ثلج ثلج هذا العالم المحاطُ بهالة الموت، والبيتُ لم يعد فيه عتبةً تطهرها خطاك، أي غيابٍ هذا الذي تركَ عينيكَ معلقتين على صورة لكَ في الجدار،
انتبهْ..! حتى خشبُ الأبوابِ شاخَ حين أغمضتَ عينيكَ عن الحياة.
قبلها بخمسة أعوامٍ كنّا نتجادلُ بحب أنا ووالدكَ حولَ اسمكَ الذي كان حكايتنا اليوميّة قبل النومِ..
قالَ: سنسميه نديماً ليكون نديمَ حياتنا..
قلت: لا سنسميه نوراً لتكون حياتُه كما الشمس..
نديم .. نور.. نديم.. نور.. نديم.. نور ... وضحكنا كثيراً، فكنا قد اتفقنا على حرفِ النّون باسمكَ الذي أسقطت بعده كلَ الأسماء.
منذ تلكَ اللحظة أصبح انتظارنا لكَ متعةً نتقاسمها.. وغوايةً نفترشُ تفاصيلها (كيف هو شكلكَ، حركاتكَ، صوتكَ، لونُ عينيكَ، بشرتكَ، شكلُ أصابعِ قدميك، حتى طولُ قامتك)
كنتُ أتقصدُ وأنت في أحشائي أن أقصَ لكَ الحكايا عن سوريا.. أخبركَ عن جمالها.. عن بهائها.. عن شوارعها التي تعجُ بالمارة والغرباء.. في ذلكَ الزّمن كان عمرك ستةَ أشهرٍ من الحمل وكنتَ تتململُ وتتقلبُ بضجر.. ذهبتُ بكَ إلى كلِ المدنِ السوريةِ مروراً بأريافها لأريكَ معالمَها، طقوسَها، عاداتها، سكانَها، وربما كنتُ متعمدةً أن أنجبكَ بعلامة فارقة قد تكون شامةً دمشقيةً على جبينكَ تميزكَ عن كلِ أطفالِ الأرض، وكم من المراتِ وضعتُ يداً على بطني واليد الأخرى على جدرانِ قلعةِ حلب أو مررتها بماءِ الفراتِ كي تتحسسَ نبضَ المدنِ، أحياناً كنتُ أبتلعُ ماءَ البحرِ لنسبحَ سوية، وكنّا نتبادلُ الأسرارَ فأخبرتكَ بأنَ موضعكَ في بطني كموضعِ حمصَ من سوريا التي تنتظرك.
اليومَ فقط حين التقت عيناي بعينيَ القنّاص صائد الحياة أدركتُ لما لمْ أنجبك، وأدركتُ لماذا بقيتَ حملاً افتراضياً في ذاكرتي، نعم صغيري قد أجهضتكَ في ذاكرتي كي لا يسجلَ الرصاصُ طولَ عمركَ أو يقيسَ بقاءكَ في مسافةٍ تقدرها فوهةٌ تطلقُ الموتَ لتنجبَ قبراً.

ممنوع مرور الحرية

ادارة النظام

رسالة عاجلة من بابا عمرو لابنه أسامة: ماءُ الفضّة

عن صفحة أسامة محمد

أسامة محمد

صباح الخير «هفالو». هفالو يعني صديقي بالكورديّة.

الوقت متأخر «الثانية فجراً» أرجو ألاّ تكون نائماً. فعندي حكاية أو ورقة خريف ليس أكثر. أحبُّ أن أحكيها لكَ قبل النوم.

هل أنت قادر أن تسمع من كل هذا الوجع حكايةً. هل تحبّ الحكايات قبل النوم؟

وحدها أنفاسي اللاهثة خلف الكاميرا...التي تَقَمَّصْتُ دورَ خَيّال كرديّ لها... تعلمُ كَمْ كان الخوف ورقةً راعشةً أمام ما انتابني أثناء تصوير مشاهد في «حمص ـ بابا عمرو»... رعشة الأصابع كما لو كان دبيبُ كلِّ نملِ الكون يسكنها... وحدَهُ يَعْلَمُ وحدهُ الثلج على أطراف أصابعي يعلمْ.

حكاية أنني من شعب يَعرِفُ معنى الظلم جيداً. إنه الشعب الكوردي... وجَعُ الله على الأرض وأحلى مَخَاضات السماء. وأني باسمك شعبي، أحببت أن أرسم لوحة لهذه الثورة العظيمة. ولصلاة صارتْ مدينةٌ من بشر وشجر وحجر... اسمها حمص.

بعد شهر من مُحاولة تأمين مُصَوِّر مُخْتَص أدركت أنني لن أفلح بذلك... وبدأت أجزم بأنني من سيقوم بهذه المهمة.

الكاميرا سلاحُ الجريمة. كانَ عليَّ أن أقطع حوالى الـ500 كلم لأُهرِّبَها في «...» وأدخلها حمص. لتتخفى من مكان إلى مكان مصابة بالرعب حين أرى الجيش على أبواب البنايات حيث تنام الكاميرا. فأخفيها في مكان آخر... فآخرَ. فآخرَ. إلى أنْ تستيقظ في بابا عمرو... فتكون خيط الدخان الأبيض لي لأبدأ مهمتي.

رتّبتُ كلَّ شئ كأنيْ لن أعود. وحدَها دُموعي في وجه أمي... لم أستطع ترتيبها. وبشغب ولدٍ صغير بعثرتُ كلَّ المعاني. قبل أن تصيح بي العتبة لا تخرجي.

هذي هي حمص. كل شيء يبكيك لو كنت ستخرج بعد العتبة. عتبة الدار أو الروح أو الحلم. لأن «القنّاص» لم يَعُدْ يترك لدمعك عيناً بعد بابكَ المخلوع منذ أول مداهمة.

لا أدري كيفَ وكم قطعنا. ولا كيف ومَن قَطّعنا لأجد نفسي بعد الحاجز اللئيم داخلَ بابا عمرو المحرَّرَة إلا قليلاً. كان عليَّ أن أبدأ فوراً. بلا أي تردد... لأن الدقيقة القادمة قد تطفئ الحلم... دفء الحلم.

طويتُ أنوثتي في جيبي إلى حينْ.

كانوا كلهم ظلالاً لمعاندة قدر ظالم. لم يكونوا مجرد رجال وشباب. في جيبي طويتُ أنوثتي ورتبتُ لي ظلاً كظلهم ومضيت.

كان ركضاً هستيرياً أحياناً وربما زحفاً على الركب. ولم أكن ألتمس سوى الوصول إلى المعنى مجسداً في صورة تهرب إلى كاميرتي الصغيرة. بدأت من منزل بلا كهرباء يُلْجِئُ عائلات وبكيت معهم. وضممت أرواح المكان في شموعِ قصصهن المفجعة.

ثمّ شارع ورصيف وحارة مهجورة وبناء شبع القصفَ منه وما ارتوى كيدُ رُماته.

بين خوفي وجبروت الحلم. تَيَبَّسَ الدمُ في عروقي وأنا أتسلق الجدارَ لأصلَ ثقباً أعلاه... يخفيني عن القناصة وأن أصور الدبابة التي لم تترك للصلح مطرحاً. بين صورة الدبابة من ثقبها في جدار وبين صراخ الشباب المرافقين «ارجعيييييي». وصوت الرصاص... مسافات من لُهاث وموت يتقَمَّصُ الحياة.

صحراء الرمل في أكياس الرملِ ردّت عني جواب البقاء لأولى رصاصاتهم.

صدري صارَ أنبوب اختبار لزمرة دمي الغريب عن البشر كما بدا لي وهم يمطروننا بكل ذاك القصف.

ولم أرجع إلا وقد صوّرت البناء المحترق... وتباً لمن عاد ولم يظفر بما جاء به إلى هذا الموت.

هل كان كل هذا الدمار بانتظاري لأنزف كلَّ خوفي على مدارات قنّاصة يحرسون ما دمّروه؟

كنت أزرع الأسئلة وسط كل ما مررْتُ به من أنقاض علّ جواباً يُثْمِرُ بينَها ذات مرّة.

الليل الذي لم يترك لي سوى كتل اللحم الدافئة الصغيرة المندسة بين بعضها كقطط الحارات وطفل بقي بينهم لم يعلن انتماءه إلى السلطان ولا عرف النعاس منذ 9 أشهر. نظر إليَّ في الليل وقال... لا أخاف الرصاص ولا العسكر.

لم يكن طفلاً من دمع. كان طفلاً من صنوبر...

وعلى جنبات القلب والليل تدحرجت ألف آهة من باب الغرفة تترحم كلٌ على عائلتها. وكلّ آهة هي الناجي الوحيد.

عتمةُ حمص وشرارات حقدهم وجدران من البرد القاتل. وآه يا برد حمص.
ربما غفوت قليلاً.
وعدت لأكمل بين ضلوع الصبح ما بدأتُه البارحة. تلك المُقْفرة انسلّتْ إلى الكاميرا. والشمس أفضت إلى أطفال يزرعون أحجار البيوت المهدمة فوق بعضها بعضاً. وحين تتلعثم لهم وأنت تخفي حيْرَتَكَ «ماذا تزرعون؟». يصدمون ضعفك... «نُعَمِّرُ بيتنا».
أطفال بابا عمرو جبال من شرايين وبقايا لحم... وكثير من ياسمين.
الحياة تزدرد القبور. المقبرةُ تلبس قبورها الجديدة الفارغة. المقبرةُ تُرَتّلُ أغاني قاطنيها القادمين.
إنهم في بابا عمرو يُعدّون لموتهم كما نُعدّ لحياتنا... يا ألف آه تشقّ صدرك حينها وترتمي على صوتك خرساء.
والبلبل الشهيد وأمه المشدوهة وأبوه والكل في بابا عمرو شهداء... أنت تتنقل بين الشهداء... لا حيّ باق هنا يا صديق.
وتظاهرة المساء... وجدتني أصرخ بها بلُغَتي ولغتهم وأغصّ أمام رهبة الموت. يتجلّى بكل ما فيهم من حياة.
وماذا أحكي... لم يعد لكل ما يقصف به أولئك المارقون معنى. كل شيء هنا يقولها... أصوات الثكالى وشعارات الجدران وتظاهرة الجمعة واللافتات والأطفال وبقايا العرائش والشوارع المقفرة وأكوام القمامة التي عاقبوهم بها. والقبور والشجر والسكة الحديد الممتدة على جسد بابا عمرو بغنج.
ماذا أحكي لك؟ عن الأطفال يهتفون لي من رأس كل شارع بـ «الكرديّة» ويضحكون فتبتسم كل شوارع حمص هنا على جروحهم الصغيرة وتنتفض ألف صلاة.
وتلغي القنابلُ تظاهرة المساء فيودّون لو صاروا عصافير تتظاهر في السماء.
كيف بقيت لا أدري وأين وماذا؟ كل اللغات والقواعد هنا في «بابا عمرو» تتساقط منك وتصير أنت ابنها «عمرو».
يتثاءبُ في دمك شهداؤها فتخرج صباحاً وتحرص كما يُطلب منكَ ألا تلتفت وتركض أسرعَ منكَ لتقطع الحاجز بسلام. تصبح خارج حدودها... ويبقى قلبُك مُعلقاً على صباحها.
لا أدري كيف الآن أجدني خارجها ولا أبكي؟
ويبدأ التعب من جديد... لتحمل كل ماصوّرتهُ «500 كلم» لتؤمّن لصورتها الهواء والسلام.
وتعود من دون أن تعود.
الآن... وبصوتي. بسيناريو بسيط جداً لفيلم بسيط جداً أودّ أن أقول لك...
من تحت ركام أضلاع حمص.
أسعد الله مساءَك.
اليوم انتهى الفيلم وبدأ الترقبَ.
لست خائفة مهما حصل.
أرواح من ذهبوا... وأخي المعتقل وابن عمي وجاري وألف حرّ بكل أرواحهم التي تتعذب الآن... لن تكون أغلى من روحي أبداً.
سأموت حرة كما عشت يا صديقي... لن أهرب...
أسكن بين «دمشق» و«عامودا». أنا كوردية.
اسمي الكوردي «سيماف» أحبه. ومعناه ماء الفضّة.
الفيلم أنا باسم شعبي «الكورديّ» هديةً للثورة السورية ولحمص الصامدة.
اسم الفيلم الحركي «سيماف» ومعناه «ماءُ الفضّة».
لكَ روحي يا صديقي.
لأنني أعرف أن ما بها سيلزمك.
وسط كل هذا الشوك هل تذكر «حنظلة الحومصي» الذي كتب لك مرةً؟ هو أيضاً شخصية اخترعتها ليكون ابن وجع حمص. و«ناجي الكوردي»... والله حين أكتب بلسانه أبكي.
و«عمّو أبو دبابة» و«عمو أبو قصيفة» و«عمو الصبح».
الفيلم بأمان. خارج الحدود. أرجو أن تشاهدهُ. قريباً. قريباً جداً... العرضَ القادم Soon كما يقولون
أسامة: هل تسمحي لي بنشر هذه الرسالة. في «الحياة»؟...
ماء الفضّة: لك الحريّة بما صار ملكك.

محمد النجار

حديث القاتل والمقتول

حديث المقتول:
سأكون ريشاً ناعماً في جناحيّه، قوس قزحٍ كان ينتظره في كل الفصول..
حديث القاتل:
لم أرمِ على جراحهم سوى القرنفل،..
حديث المقتول:
ما لن اغفره لكم هو الكذب عليَ، ، اعيدوا ترتيب موتي كما تشاوؤن، ، لكنْ أرجوكم دون أن تكذبوا عليَ.
حديث القاتل:
من شأني أن اقتلك دائماً، عند الفجر، في وضح النهار، بعد المغيب، دونما خجل، اقتلك كلما سنحت لي الفرصة، ، اقتلك و أنت الشاهد الوحيد على موت الله.
حديث المقتول:
لن أنسى نصالهم الحادة، الناصعة مثل النجوم،...
حديث القاتل:
الضحايا ؛كنتُ أنساهم تماماً، كأنهم نسمةٌ عابرة..
حديث المقتول:
هو الضيف الذي كنتُ انتظره بشغف،
حديث القاتل:
لا انظر في أعينهم الجميلة، اتركها لعشيقٍ كان يعبدها كآلهة.
حديث المقتول:
ادفنوا كل شيء يخصني، اتركوا الحنين ورائي.
حديث القاتل:
لن اترك ورائي رسائل للقراءة، لكنني سأقبّل يد الضحية، كأنها يدُ أمي.
حديث المقتول:
لم يسأل عن الطعنات ما إذا كانت كافية لقتلي، أدعوكَ لكأسٍ من نبيذي كي لا تُدركَ ألمي.
حديث القاتل:
أبحث عن الضحية بشغفٍ كي أعتذر منه...
حديث المقتول:
...
دمي العذب يرتوي منه كل إنسان.
حديث القاتل:
.....
لا تبحثوا عن مسمّى آخر عني، الكل يتفقون عليها.

محمد دالاتي

قصـــــاند

1

قمر ناعم...عاتب مؤرق،
حزين،يتكاسل مسترسلا
في اعمارنا،
مؤرق وعاتب ونادم
على ما تبلل من حرير اوقاتنا،
قمر.. ومدفأة تخبو،
مترعة لكل ما فكر الاخرون
انه يشعل النار
في الايام الباردة،
قمر يولد
وقمران يدخلان شتاء
على مركب كستناء وموقد،
واخر يغزل اعمارنا،
بحيوط ماء.

2

كأنك لم تنم في العشية،
بل كان النوم مجرد وهم
عابر في الصيف،
كظل لفراشات تنوء بثقلها،
لهذا نهضت على اصوات عالم
يتكسر
كزجاج،
وينتثر في فضاء الدنيا،
كاعلان صامت
عن النهاية الاكيدة...
ان تنام
في ظل الشمس
بلا وجع.

3

بعدنا
من يرفع العليق عن الورد المعرش؟
على جدار الحديقة...
بعدنا
من يحرر الافق من غربانه السود
من يداوي الارملة الجريحة؟
والفتاة المتروكة على مقعد موحش،
من يعيد ما سرق من رؤيا وفراشات
من الشاعر المؤرق؟
تنام على السرير.00

الثورة

عبد الرحمن مقلد

مصر

ليس على الثورة الآن أن تتثاءب
تاركة شهوة الاحمرار
وحشرجة الصوت
والقبضات
وأوردة الثائرين
وفتنتها البلدية خامدة لا يحركها الوخز..

ليس على المرأة الأربعينية العمر
أن تتآكل شهوتها
وحدها فى السرير تراقب فعل الزمان بأعضائها
أو تتمثل دور فتاة لعوب
يفسرها عاشقوها كما يشتهون
وتمنحهم صدرها
لتبدد وحدتها وتخلى الحياة تمرُ

وليس على الثورة الآن
أن تتلخص فى الأغنيات
التى لا تحرك باعوضة أو يتهيج ديكا
ينقلها الناس عبر هواتفهم
ويصعب أن تتلاشى طزاجتها
هذه الوردة البلدية
ينفخها الصبية العابرون
فتصقل أنفاسهم..

والفتاة الصغيرة
تلبس مريلة
وتدس أصابعها فى حنين البيانو
ليصعد صوت النشيد
يدفق جيش التلاميذ
وهمو يدقون أقدامهم فى الحجارة
حتى الفصول
تحرك غمازتيها
لتلهمهم شوقها للأنوثة
والعسل المتحرر

والذكر الهائج البار
والحيوان الأليف القوى
لترجع حمراء ساخنة
لا تنام على سلم
وتقوم على فزع من خيانات أحلامها
تتمشى على طرقات المدينة
سائلة أهلها التبغ والدفء
واللحظات السعيدة لا تتكرر
تذكر قوادها الحمر
والفتية الثائرين يشقون قمصانهم
والرصاص يأز
وآه الرصاص الذى لا نصدقه فى البداية
لكنه يلهب الجسم هذا الذباب السريع
وآه تحن على الفتيات بأثدائهن الصغيرة
تعلو وتهبط
والصرخات الرفيعة
والشعراء يغنونها
إنها عرسنا الدموى الحميم
ومشعلة الشهوات
وخالقة الاندهاشة فى النص
منزلها الحلم الواسع الخطو
ديدنها الانفلات
وطرق مؤخرة المتوقع
لا يمكن الآن أن تقنع الثروة
الجسد البض والثقب
والناهدين وإبطى حرير
وخدين لون الفراولة
والعنق المرمرى
بنسيان ماضيهم الحار
والذوبان الجميل على يد مشعلها

ثيران مجنحة

ثيران مجنحة تطير
إلى فتية سوريا اليافعين

ارتاب من الهموم
من شؤون الطقس
ومن جدول يقف قبل منحدر شاهق
ويلتفت الى الوراء
***
غدرني عمال المقالع
فقدت ازقة اليفة
انتهيت اصغي في اعماق الليل
الى ارتطام كواكب
***
انا , مثل الغراب , احب قمم الجبال
اتسلل في الفجر , قبل ان يستيقظ جدول هنا ,
لاداعب ثعالب الماء
واستمع الى ايقاعات طيور نقارة
ثم اتوغل في الغابة لاجمع برقوقا وعناقيد سماق
وهذا مايدهش خريفا وصل هنا مساء امس.
***
اعود اليك ومعي خمر مهربة
صففت شعري الطويل وحركت جمرات في مدفاة
في الطريق رايت جنودا كئيبين يكتبون رسائل
بعدهم التقيت فيضانا كان ينتظروني
فحملني اليك
***
اكتب لانني اخاف
نوايا الليل تحيطني ومصابيح المطابع
وهناك ينبوع يكرر نداءات غريبة امام بيتي
***
دخلت مقهى
وجدت لينين واقفا يدخن امام تلفزيون
التفت , راني ,صرخ : انت هنا ايضا؟
خرجت لاتفادى لسانه السليط ودخانه الخانق , متسائلا
اين تعلم لغتي ؟
***

صلاح فائق

ياتي الليل الى غرفتي في الليل
اضع امامه قصائدي
التي من ارض غير ماهولة ,
ابعثر حوله غيوما واعيد ترتيب مشاهد مهاجرين في

حقول الغام .

***

حين تصلني اصداء اعياد قديمة
من ارض احترقت ,اضرب طاولتي بقبضة كهل
انقذت بضع كلمات اتكلم معها
القي بها تحية الصباح
على منتظرين في محطة

***

انا جارك , تراني الان اعيش مع غراب
ذكرياتي قليلة وغير جديرة بالتذكر.
تجليات اليوم دفوق بركان
وقطعان ماشية تنزل من طائرات .

***

لا جدوى من الاسف على اي شيء
الاحتيال على الايام بهاتف
او بجواز سفر .
المتفرجون ينتظرون
فانت الممثل الاخير في نهاية هذه المسرحية .

***

اغني لنهر ضيع مجراه
لستائر نوافذ , لواجهات مسارح
للالفاظ وارواحها
للذي يسند ظهره الى الهواء
ويغني

***

بفمي اصغي الى غزاة انتصروا
مدن تحترق واخرى نهبت .
امد يدي , اهيل عليها ترابا من جبال
ورملا من صحراء .

***

تركت اشعاري امام احجار وفوق صخور
ومشيت فوق مدن كانت تتكلم .

***

اكتب لاتسلى
اقرا اشعاري على خادمات
يجدنني في بعضها امسد عنق ثور
او افشي اسرار راهبات ,
في اخريات اشتم سماسرة من شرفة
واختفي خلف ملابس سوداء

***

فجرا اهرب الى غابة قريبة
خوفا من زلزال , وابقى هناك
حتى يزورني الليل.
حين اعود الى قريتي اقود سربا من جياد
الى جدول عميق.
قلمي بين اصابعي دائما
انام واقفا وعلى كتفي اليمنى فاس .

***

انا النافخ في بوق قديم
وكانني زنجي مدلل في مزرعة ,
تتداعى صور كثيرة في راسي
اقوم , اشدها بسلاسل من حديد .

***

لي نصيبي من غابات الصنوبر
ومن تحليق نسور فوقها .
اهلي عاشوا تحت الارض وفي الاعياد
توجوا راسي بازهار ذابلة .

***

اخبط على حائط هنا وحائط هناك :
نسيت نقودي في قطار .

***

وصلت الى غرفتي هاربا من سحابة جراد
ساخرج ليلا , متخفيا مثل امبراطور , لاتنزه .
ربما سيرافقني طاووس
او عامل مطحنة .

***

اليوم وليمتي لنساء هربن من سجن .

***

تحايلت على تجار مدن
على كل حكومة .
هكذا جمعت ثروة : لم اعد اتظاهر بمرض
او اتبجح بغدر امراة.
يزورني نهر مرة كل شهر
حاملا زنابق وحيوانات برمائية .
هذه هي الحياة - امكنة موحشة
في احدها اطلب افطاري في السرير
ويقبل النهر دعوتي .

دم راشد بما يكفي

ثمة دمٌ كثير.. كثير..
لا كالذي كنا نقرأ عنه..
أو نشم رائحته على أصابعنا..
أو نخلّده في البيعات على قماش السياسيين..
كثير .. كثير..
كثير إلى الحدّ الذي لا يتّسع للدبابات تفادي انفجاره حول جنازيرها..
ولا يتسنّى للطائرات سدّ آذانها عن هديره..
وكثير بما يكفي لتخمير كبرياء جثث لا تنتظر القبور..
دم راشد بما يكفي لإخراج البلاغة الثورية من شرودها.. وطي التاريخ (المجيد) لقذيفة سليلة..
ولا بأس.. لا بأس أن يتذوق الشهداءُ ملحَ الطبخة الأممية..
أن يوصدوا أرواحهم في وجه العبارات المواسية..
وأن يرموا بأحلامهم على أكتاف الناجينَ..
لا بأس أن يسأل "سمّور"* القنّاصَ عن زمرة حقده.. وأن يراقب "خليل"* تبدد "سوالفه" في حضرة البارود..
ولا بأس.. لا بأس أن تتضرع الثكالى.. وأن تحَارَ السماءُ من ازدحام الأنين على أبوابها..
دم كثير بما يكفي..
لينسربَ السوريون من شِباك ذهولهم..
يقفون في برك النار على أصابع قلوبهم..
واجمين.. بانتظار انجلاء عنوان القذيفة التالية.

* سمور الساملوت: شاب منغولي معروف بالطيبة والدماثة
* فشل خليل كرك في كتابة النص الأدبي لكنه نجح كثيراً في انجاز ذائقتي الأدب والاحتجاج..

بشير عاني

التريمسة

مروان خورشيد

1-

في التريمسة
عصابات مسلحة تقتل نفسها
طفل يذبح طفل
وامرأة تبقر بطن أختها
وشيخ طاعن في السن يطعن شيخ أخر بالسكين

2-

في التريمسة
دبابات تلبي نداء الأهالي كي تقتلها
دبابات من حديد روسيا بريئة من دماء نازفة
هكذا يقول عنها شريف شحادة..لمذيعة الشاشة المغرضة

3-

في التريمسة
لا توجد كاميرات تنقل مجزرتها
الليل يمنع المراقبين من ترك فنادقهم
أما شهود العيان فكانوا قتلى أيضا..
لا اتصالات تعيدهم للإدلاء بالشهادة

4-

في التريمسة
مئتان وخمسون شهيدا فقط يمرون على خبر عاجل

5-

في التريمسة
حقول كثيرة تطل على قرى موالية
قرى تعتز إنها موالية

6-

في التريمسة
شهداء مشلوحة في الحقول
والليل لا مصباح له..
يفك السكين عن السكينة المرمية في عويل الثكالى

7-

في التريمسة
سوريون قلوبهم مشلوحة في فضاءات يتيمة
ولهم حناجر تقول ■ ما لنا غيرك يا الله ■...

السوق...الناس...أبوابُ الحرية
تأملات في سلمية الثورة وأشكال البلاغة المواكبة لإضراب تجار دمشق

محمد حجان السمان

من الحقائق الثابتة أن للثورات السلمية بلاغة خاصة تعبّر من خلالها عن أهدافها السياسية والاجتماعية. ولا تتعلق الخصوصية هنا بالمحتوى السياسي والأهداف النهائية المعلنة للثورة, بمقدار ما تتعلق بالوسائل والأشكال المتبعة في الاحتجاج والتمرد والتعبير عن رفض الوضع القائم.

تقوم هذه الخصوصية البلاغية للثورة السلمية على الكلمة والأغنية والنكتة والهتاف والشعار والمسرحية والصورة والتشكيل..الخ. وهي تعبيرات تكاد ثورات العنف المسلح لا تعيرها أي اهتمام, ولا يتسنى لها – هذه التعبيرات – في زحمة القتل والعويل أن تدلي بدلوها أبداً.

والثورة السلمية إذْ تتوسل في بلاغتها الجديدة الفنَ والأدبَ والثقافة البصرية والسمعية للمجتمع, فإنها تنجز في الوقت نفسه عملية تطوير لهذه الأشكال والتجارب التعبيرية الإبداعية, عبر تجارب الثوار و وعيهم المتشكل ميدانيا, وفي مواجهة ثبات واستبداد السلَط التي ثاروا عليها .

× × ×

لقد ظهرت خلال الطور السلمي من الثورة السورية بلاغة جديدة سعت في المقام الأول إلى إزاحة بلاغة النظام القائمة على القسر وتحقيق الخوف والإذعان. ولأول مرة منذ عقود في سوريا, تخرس في الساحة بلاغة النظام وتعبيراته الواحدية المتكلسة والجوفاء, وتعلو بلاغة جديدة تتوفر على أفق رحب متحرر من الرقابة والخوف, متنوع في تعبيراته ودلالاته. وخلال أشهر قليلة تحصّل لدينا كمّ هائل من الأعمال الأدبية والفنية الإبداعية, وأشكال التواصل والتعبير المختلفة, التي تتراوح بين الطابع الاحتفالي الشعبي للساحة العامة, وبين الطابع الثقافي الإبداعي الرصين, الذي يتطلب وسائط تواصل غير مباشر مع المتلقي (الفيديو, المعرض, مواقع التواصل على الانترنت , المطبوعات المختلفة...الخ).

تراجعت هذه البلاغة – للأسف– مع انتقال الثورة إلى العسكرة واستخدام السلاح. إن إيغال الثورة في اللجوء إلى العنف المسلح لمواجهة بطش النظام وتغوله, نأى بها عن المجال العام كحاضن للتعبيرات الاحتجاجية السلمية, مما انعكس تراجعاً في ذلك الخطاب الإبداعي الجديد للثورة, وتعبيراته المدنية المختلفة. في حمص – على سبيل المثال – نلاحظ أن الساحات التي كانت عامرة بالتظاهر والغناء والهتاف والشعار, بما يشبه مهرجانات الاحتفالات الشعبية, قد دمّرت وفرغت من حشودها. والأنشطة الفنية الإبداعية المرافقة تراجعت حتى تلاشت تماماً. حتى النكتة الحمصية المتميزة بحضور بديهتها وذكائها وقدرتها على تجاوز الخوف بالضحك, تحولت إلى ما يشبه النشيج المكتوم في خرائب روح وجسد محطمين.

في الساحة : عندما تحضر لعلعة الرصاص ولغة العنف, تنسحب الكلمة والأغنية واللوحة والمسرحية والنكتة الساخرة التي تطلق ضحك الجمهور المتمرّد.

× × ×

وبينما تفضي سيرورة الثورة السلمية, في ذروة تعبيراتها المدنية, إلى الإضراب والعصيان المدني؛ فإن ذروة المواجهة العنفية بين النظام والمكون العسكري للثورة, تمثلت في مجازر ذهب ضحيتها الأطفال والنساء والشيوخ والمدنيين العزّل في مناطقهم . وقد التقت الذروتان – فعلاً – أواخر أيار الماضي, عندما وقعت مجزرة الحولة (25 / 5) وحدث إضراب تجار دمشق (منذ 28/5) ووصل ذروته في 31/5, الذي أحدث نقلة نوعية في مسار الثورة السورية, بما يستبطنه من ملامح تمرد فئة لطالما كانت السند المكين لحكام دمشق.

مجزرة الحولة, في مفارقة تاريخية, أعادت الثورة السورية إلى خطاب السلمية وتعبيراته المدنية الإبداعية من جديد. كأنما عَصَفَ المجزرة بالضمير الإنساني والوعي الوطني, لفت الأنظارَ إلى الطريق المكلفة لهذا العنف الدموي المنفلت, وشجع على إعادة النظر في أشكال مواجهة نظام الطغيان وإسقاطه.

واللافت في الأمر أن البلاغة المناسبة لهذه العودة الحميدة إلى السلمية, عبر اللوحة والكلمة والملصق والشعار...الخ, انطلقت فجأة وبغزارة وبسوية فنية وإبداعية عالية, مواكبة عودة الروح من جديد للخطاب السلمي في الثورة. كأنما عطش الشباب المبدعين إلى التعبير الذي حُرموا منه تحت هطل الرعب والموت والتدمير طوال أشهر؛ تفجر دفعة واحدة عندما لاحت بارقة تضامن مدني شعبي مع الثورة التي انطلقت سلمية, وبقيت سلميتها جوهرها الذي ينبض تحت رماد الخرائب والدم المتيبس في الساحات والبيوت.

وسوف أحاول في هذه الإفاضة الوقوف عند الملامح العامة لبلاغة الثورة في طابعها السلمي, كما تجلت إبان الإضراب المذكور, تعبيراً عن تأييده والتحريض على استمراره بوصفه البديل الحقيقي للعنف, والرد المناسب على المجازر المروعة المرتكبة بحق المدنيين العزل.

× × ×

أعاد إضراب التجار للمدينة وجهَها الحقيقي, وأيقظ في الوعي تاريخها الذي يقوم في لحمته وسداه على مناهضة الظلم ومجابهة المعتدي, أجنبياً طارئاً أو من ذوي القربى الذين يبدو ظلمهم أشد مضاضة. و إذ يحضر تاريخ المدينة تحضر جغرافيتها أيضاً : حواريها وشوارعها التي تصير تاريخاً للذات المنتشية بعودة الذاكرة, كما للمجموع المبتهج بعودة الملامح الأصيلة لوجه دمشق.

إضراب تجار دمشق أنصف المدينة أمام أبنائها, وأشعل ذاكرتهم بتاريخها الوضيء بعدما أطفأها – أو كاد – عنف منفلت ودم عميم.

" يا قرة العين يا شام.. أنت الثقل وأنت الجوهر.. أنت الحكيمة التي لا تقول جزافا، تصمتين طويلا ولكنك عندما تتحدثين تهدرين حتى ولو همست.. يا مدينة خالد العظم وشكري القوتلي وفارس الخوري وفخري البارودي(شيخ الشباب). يا صالحية ويا ميدان ويا قيمرية ويا أكراد ويا باب توما ويا شاغور ويا حريقة التي حرقت قلب الفرنسيين.. يا حبي الاول في شوارع المزرعة، ومشاويري في ساحة جورج خوري واركيلتي في قهوة خبيني وكاسة البوظة في ديليس وكاس العرق في فريدي.. وكاسك ياشام يا أم النخوة..! " (وائل سواح).

يحيل النص أعلاه إلى لحمة وطنية معهودة في سوريا تتجاوز التأطيرات المذهبية والدينية والعرقية السقيمة. وهي – أي اللحمة الوطنية – مما ترسخه الثورة السلمية, ويدمره العنف والاحتراب بين الأهل.

لكن إضراب دمشق, كعمل في الاقتصاد السياسي – والأخلاقي كذلك – لا يتجاوز حقائق الاجتماع البشري القائلة بترابط الوعي والمصلحة, أو بتساوق الممارسة والوعي الذي يحيل إلى موقع ما على شبكة العلاقات والمصالح. على العكس, أثبت الإضراب صحة ذلك, ورمم الذاكرة على هذا المستوى أيضاً :

" الإضراب الناجح اليوم في دمشق أضاف ثقلاً نوعيا معتبرا لكفة الثورة الراجحة , و رغم ما أشيع و ما بدا فعلا من أن تجار دمشق قد بدؤوا بقول كلمتهم , فإن هذا يجب أن لا يوقعنا بخطأ وضع كل تجار دمشق بسلة واحدة , فالإضراب قام اليوم على أكتاف صغار التجار و أصحاب المحلات وصولا إلى بائعي الفول والحمص و بائعي البسطات و العرقسوس , أما كبار التجار من الحيتان التي تحالفت مع الأسد الأب قبل الابن فهؤلاء لا يضربوا إذا لم يُضرَبوا , فقد تعودوا على وضع رؤوسهم تحت أحذية رجال الأمن و أيديهم في جيوبنا .... و اسألوا غرفة تجارة دمشق إن كنتم لا تعلمون " (بوست على فيسبوك).

بناء عليه يبدو التمييز ضرورياً بين التاجر – الحر – وسواه من التجار. " الله محيي التاجر الحر " يكتب الشاعر قصي مسلماني, في إزاحة لطيفة لشعار شائع ظهر في سياق الترويج لعسكرة الثورة.

الحديث عن الإضراب يستبطن موقفاً من عسكرة الثورة السورية أيضاً. وفي شهادة مؤرخ جوّال (شاهد عيان), ردٌ متوجس على دعاة عسكرة الثورة والساخرين من السلمية. فبعد أن يستعرض هذا الشاهد المؤرخ ما رآه بأم العين في جَوَلانه على الأسواق الدمشقية بتاريخ31/5, وينقل مشاهداته وانطباعاته عبر سرد دقيق متدفق, وبلغة المحكي الذي لا يحتفل ببلاغة الفصاحة مقدار احتفاله ببلاغة الحقيقة؛ يقول :

" بتقولوا السلمية ما بتجيب نتيجة..؟ والله جنوا الشبيحة والله. الله محيي الجيش الحر, بس السلمية بوصلة الثورة, وكل الشعب يشارك فيها, والجيش الحر سيحميها بإذن الله " (صفحة اتحاد شباب دمشق للتغيير– فيسبوك).

لقد أحيا الإضرابُ – بوصفه عملاً احتجاجياً سلمياً – تقاليدَ السرد التاريخي القائم على معاينة الوقائع مباشرة, والمتوفر على بنية شفاهية ولغة المحكي المسموع. المؤرخ هو الشاهد والحكواتي في آن معاً . ومؤرخنا هنا يستعيد بجدارة صوت جده (البديري

الحلاق) عندما تكلم على حوادث دمشق اليومية قبل نحو 300 عام.

" و نزلنا لكم فتلة بأسواق الشام..!!!

الفحامة سوق المواسم وصل الإضراب 90%. الفحامة سوق البطاريات والسيارات وخلافو 80%. شاهدت بأم العين عناصر من قيادة الشرطة ومخفر القنوات مسلحين يكسرون أقفال المحلات في شارع خالد بن الوليد...

مدحت باشا...أستطيع القول 30% مع تواجد الشبيحة. والناس يلي فاتحة فاتحة غصباً عنها وما عم يشتغلوا. طبعاً رصدت ما يقارب من 5 باصات شبيحة, شي مبحوتين بالأراضي, وشي منتشرين, وشي على أهبة الاستعداد للانقضاض على أقفال المحلات المتآمرة...

... فتنا على باب سريجة. كانت الصبح 100% بس بعد ما أجا ولاد الكلب صارت النسبة تقريباً 80%... معظم المحلات مضربة بياعين المخلل والفلافل والجاج واللحمة والدهان. بس في ناس بالسوق عم تروح وتجي !! .

قلت لروح عالميدان بركي بينفش خلقي...بالفعل فوتة الميدان ولا أحلى. إضراب عام وشامل وكامل واللي فاتح مسكر الواجهة وقاعد مع جيرانو برا عم يوتوتو... الخ " .

× × ×

تنوعت أشكال التعبير الإبداعي والدعم الشعبي لإضراب تجار دمشق, بحيث يمكن القول إن مهرجاناً كاملاً من تعبيرات اللون والخط والكلمة والأهزوجة والتظاهر السلمي واللافتة المرفوعة...قد انبعث من تحت ركام هائل من القسوة والتوحش. وفي سياق ذلك كان ثمة وعي سياسي اجتماعي وطني يتفتح ويزدهر ويعبر عن نفسه من خلال أنشطة شباب الثورة وصباياها, ويعيد تنظيم الخطاب برمته بعدما تعرض لتشويه فظيع بسبب العنف المنفلت. ويمكن أن نلاحظ خلال ذلك كله ما يشبه عملية تبئير لموضوع الإضراب, بوصفه عملاً مؤثراً بقوة في ترجيح كفة الثورة – بسلميتها – على نظام لا يعرف سوى لغة الحديد والنار. لقد غدا إضراب التجار مركز استقطاب للوعي والممارسة الجمالية والسياسية والاجتماعية, وأعاد من جديد ترتيب المحددات الأساسية لقوة الثورة وأشكال مناهضة النظام التسلطي.

يحيي شبان وشابات (اتحاد شباب دمشق للتغيير) في مظاهرة لهم بسوق مدحت باشا, تجارَ دمشق, ويحثونهم على الإضراب قائلين لهم: " آباءنا نحن معكم وبينكم, فكونوا معنا ولا تخذلونا وتخذلوا شهداءنا..." .

وفي (جامعة الثورة) يرفع متظاهرون خرجوا تأييداً للإضراب, لافتة/ أهزوجة تستقي من المغني الذبيح إبراهيم القاشوش, وتعيد إنتاج نشيده الرائع بما يتناسب مع الوقائع :

" يا بياع اصحك تفتح
بكرا بيسقط بكرا بتفرح
خلي بلدك هو اليربح
ويا الله سكّر يا بياع ..! "

و تنظم (حركة وعي) عدة أنشطة مدنية رائعة تواكب الإضراب وتضيء سبل الاحتجاج السلمي الفاعل والمؤثر. من بينها الحملة المشتركة في دمشق وريفها للدعوة إلى إضراب جديد يومي 20- 21 حزيران, حيث " قام ثوار المزة بتوزيع المناشير والبخ على أبواب المحلات لحث التجار وأصحاب المحلات على الإضراب العام نصرة لأهلنا في جميع مدن وقرى سوريا".

ويمكن الإشارة هنا أيضاً إلى حملة (مقاومة مدنية – السلمية لا تعني الاستسلام) التي ساهمت في دعم أنشطة الإضراب وقدمت الملصق القائل :

" بالمختصر المفيد: الإضراب يقصر عمر النظام , ويقلل كلفة سقوطه " على خلفية صورة بالأسود والأبيض لسوق الحميدية في حالة الإضراب, وهي صورة تحولت إلى أيقونة في أعمال الغرافيتي والملصقات المواكبة للحدث التاريخي.

× × ×

نظم النشطاء الفنانون حملة غرافيتي وأعمال بصرية مختلفة, واكبت الإضراب وسعت إلى ترسيخه في الوعي العام كشكل للممارسة الاحتجاجية السلمية, مؤثر بقوة في مسار الأحداث. ويمكن القول بكل ثقة إن أهم أعمال الغرافيتي السورية هي تلك التي أنتجتها هذه الفترة وتحت تأثير الانفعال الوطني والسياسي والإبداعي الذي فجره إضراب التجار في عدة مدن سورية, وبخاصة دمشق.

إن ما يزعزع سلطة النظام ويهز بقوة رسوخ هيمنته, يبدأ من سلبه السيطرة على المجال العام. والإضراب في إحدى معانيه الأساسية شكل من أشكال انحلال سلطة النظام على المجال العام, وعلى شاغليه من تجار وباعة ومتسوقين.

وقد تكاملت (حملة غرافيتي لدعم الإضراب) مع الإضراب, بالمعنى المشار إليه. ففن الغرافيتي أيضاً يستوجب انتزاع الفضاء العام من النظام, من خلال تفعيل البلاغة التي يحملها في أعماله التي تتوزع بديلاً عن بلاغة النظام المسيطرة والفاعلة الوحيدة في الثقافة البصرية والسمعية للجمهور في الساحات والشوارع.

تتوجه معظم هذه الأعمال, في عناصرها التشكيلية وعباراتها المرافقة وتكوينها الداخلي, إلى التاجر نفسه بخطاب يمزج التشجيع على استمرار الإضراب, بالتقدير وتثمين هذه الخطوة الشجاعة والحاسمة. وتحاول هذه الأعمال إدراج موقف التجار وإسهامهم هذا, في سياق التضحيات العظيمة لباقي مكونات الشعب في الثورة, فتتردد كلمات (الشهداء, الأحرار, الثوار, الحرية, النصر...) في سياق يخاطب التجار بوصفهم جزءاً من الإطار الدلالي نفسه.

يُستخدم (قفل المحل) كعنصر تشكيلي مركزي في تكوين عدد من هذه الأعمال. وعلى صعيد التكوين يمكن ملاحظة البناء المحكم المتماسك والصرامة التشكيلية في معظم الأعمال, كتعبير عن دلالة التصميم والقوة والشجاعة في الحدث نفسه. ويجري التلاعب على مفردتي (سكّر- افتح) لصياغة عبارات مرافقة للصياغة التشكيلية, تمتاز بالسهولة والوضوح والسلاسة الإيقاعية, لكنها محملة بطاقة دلالية مكثفة وبالغة الدقة والتأثير.

" سكر باب المحل وافتح للحرية بواب ". " افتح قلبك وسكر محلك ".

وتنهل العبارات من الموروث الشعبي, على صعيد اللغة أو الوعي , مما يحقق فاعلية التوصيل بشكل أكبر : " السوق من دون ناس بيرفع الراس " . " سكروا اليوم بترتاحو بعد الحرية دوم ". " سكروا محلاتكن والبيع بعد النصر بيحلالكن ".

× × ×

إنّ إضراب تجار دمشق, وما صاحبه من تعبيرات إبداعية مدنية متميزة عرضْتُ لبعضها هنا, يأتي في لحظة حرجة وخطيرة تمر بها الثورة السورية, وتتمثل في التوتر بين ما يبدو أنه استحالة استمرار الثورة بشكلها السلمي الخالص بسبب قمع النظام وتوحشه, وبين الكلفة المرعبة التي يحتمها اللجوء إلى السلاح وعسكرة الثورة. في الوقت الذي تثبت الوقائع أن إمكانية الجمع بين السلمية والسلاح – مثلما روجت بعض النخب الثقافية والسياسية في المعارضة – أمر يكاد يكون مستحيلاً.

إن أهمية الأنشطة الإبداعية والاجتماعية التي رافقت إضراب تجار دمشق, تكمن في أنها كشفت عن إيمان عميق – لدى الناشطين – بسلمية الثورة وقدرتها, عبر أشكال لا تنتهي من الاحتجاج والرفض والتعبير, على استكمال المهام التاريخية الحاسمة التي فرضتها مواجهة الشعب لنظام استبدادي فاشي مجرم.

يعتري ذلك – بالتأكيد – انكسارات ومنعطفات وخيبات ومخاطر هائلة, لكن قدرة شباب الثورة على الإبداع المستمر لأشكال المواجهة والتنظيم والتعبير, واستعدادهم للتضحية والثبات باستمرار(وهو ما أثبتته مواكبتهم للإضراب كما أثبته حدث الإضراب نفسه) كل ذلك يمنح خيار السلمية جدارته وأفضليته, كخيار نهائي يتعمق وتتفتح انتصاراته مع مرور الوقت.

نذير نبعة

نذير نبعة تجربة هامة من التجارب التشكيلية السورية الحديثة، التي اثارت الانتباه والنقاش، طوال اكثر من أربعين عاما، حيال خصائص القيم التراثية الشعبية المرتبطة بجذور البيئة المحلية والعربية، والتي استعادها في لوحاته بدقة واقعية تفصيلية،على الطريقة الشرقية الأرابسكية، فاتحا ينابيع الإشارات الزخرفية الدقيقة عبر تداعيات المرأة والحنين الشاعري المنبثق من رؤى مسرح أحلام ألف ليلة وليلة. وإذا تجاوزنا بعض المراحل التي مرت بها تجربته، والتي أظهر من خلالها بعض التعاطف مع تيارات الحداثة التشكيلية الأوروبية، يمكن القول أنه كان في اكثر الاحيان يعمل على تقديم اللوحة الفنية الشرقية البديلة والخارجة عن اطار الصياغة التي اطلقتها صالونات العواصم الفنية الكبرى في القرن العشرين.ففي لوحاته نلمس خلاصة مهارته التصويرية ودقته التفصيلية ومنهجه العقلاني المعبر عن التصميم المتماسك الذي يتولد من خلال تدرجات الظل والنور والرموز المختلفة والمكثفة التي تربط بين تكاوين الأشكال المختلفة.

جسد في لوحاته اجواء الحلم الخيالي الشرقي،وفتح امام عين المشاهد نوافذ على حكايات اسطورية مستشفة من دفق حياة الزمن الغابر.وهي تشكل مدخلا لدراسة موضة ازياء وجواهر وعادات وعفوية حياة ايام زمان. ففي لوحاته القديمة يخاطب نذير نبعة المرأة والاجواء الشرقية الحميمية .والمرأة لديه تأخذ شكل الاسطورة تطل لتعبر عن مشاعر الحنين الى رؤى الحلم ونشوة حياة الزمن الغابر،كل ذلك في محاولة لكسر الطوق الخانق في عالم اليوم اللا انساني،والعودة الى ذكريات الاشكال الموزعة في زوايا البيوت الشرقية القديمة.

بيبلوغرافيا

1938 – ولد في دمشق ، سورية.

1965 – تخرج من كلية الفنون الجميلة في القاهرة بمصر / قسم التصوير.

1972 – دراسات إضافية في المدرسة الوطنية العليا للفنون - باريس.

درس الرسم في مدارس دير الزور ودمشق.

أستاذ الدراسات العليا في قسم التصوير في كلية الفنون الجميلة بدمشق.

عمل في الصحافة السورية ورفع سوية الرسوم التوضيحية والغرافيك فيها.

له تجارب ومشاركات في مجال الرسم الصحفي ورسوم كتب الأطفال، والكتابة في مجال الفنون التشكيلية.

معارض نذير نبعة

معرض صالة الفن الحديث – دمشق 1965

معرض صالة الصيوان – دمشق 1968

معرض صالة غاليري واحد – بيروت 1969

معرض صالة المعارض في المركز العربي – دمشق 1979

معرض في متحف الشارقة / الإمارات 1996

معرض غاليري بوزار – دبي 1997

معرض المجمع الثقافي الإماراتي – أبوظبي 1998

معرض مهرجان القرين الثقافي – الكويت 1998

معرض في متحف الفن الحديث بالكويت 2001

المعارض المشتركة

معارض فنية عالمية مشتركة مع فنانين سوريين واجانب في في مدن عالمية (باريس – مدريد – بولونيا – سان باولو – موسكو – لايبزك – طوكيو – براتسلافا).

معارض فنية عربية مشركة في مدن عربية (دمشق – حلب – بيروت – القاهرة – الكويت – الإسكندرية

الجوائز

-1967 معرض غرافن آ.

-1968 بينالي الإسكندرية.

جائزة المدرسة العليا في باريس.

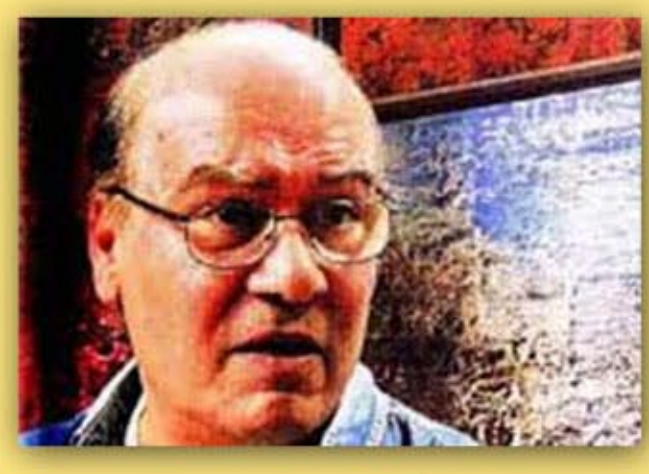

أيقونة العدد

قبل الوداع

حازم العظمة

تأتي بنتٌ من داريّا فقدت أباها
تستند باليدين على الطاولة :
..تنفض دخان القذائف من شعرها .
نحن الدّارانيون ..
.. نحن الحَرَاستة .. نحن الزّبدانيون..
السّقباويون ، الحمّوريون ، الطّنسيون ،
اليادنة ، الدّوامنة ، الأناضلة ،
النّجّارنة .... العَرابنة ، القوريون ،
العامودييون ، الرستناويونَ ..
نريد بلادنا واسعة باتساع الحرية ...

يأتي فتى من بابا عمرو .. يخلع قناعا
أسود (من دخان القذائف) :

نحن الحماصنة .. نحن السّلمونيون
،الشّماويون ، الصلخديون ...
الأرمنيونَ ، الرستناويون .. الصيافيون
، التلاكخة ، اللواذقة ، الرقاويون ،
الدرباسيون ..

السّكندريون .. الغزّاويون ، التعزيون
، البغداديون ، الأرابلة ، البصارنة
،الصيدونيون ، الحيفاويون .....
نريد بلادنا واسعة باتساع الحرية ..

يأتي فتى من طرطوس (بعمر الفتى
حمزة الخطيب)
يزيح أوراقا كثيرة على الطاولة ،
ويسترونات :
نحن العرب .. الكرد ، الشراكسة ..
النوبيون التركمانُ الأمازيغ الفرسُ ،
العجم .. الجميع.
نحن الجميع ..نريد العالم واسعا..

بسعة الحرية ..